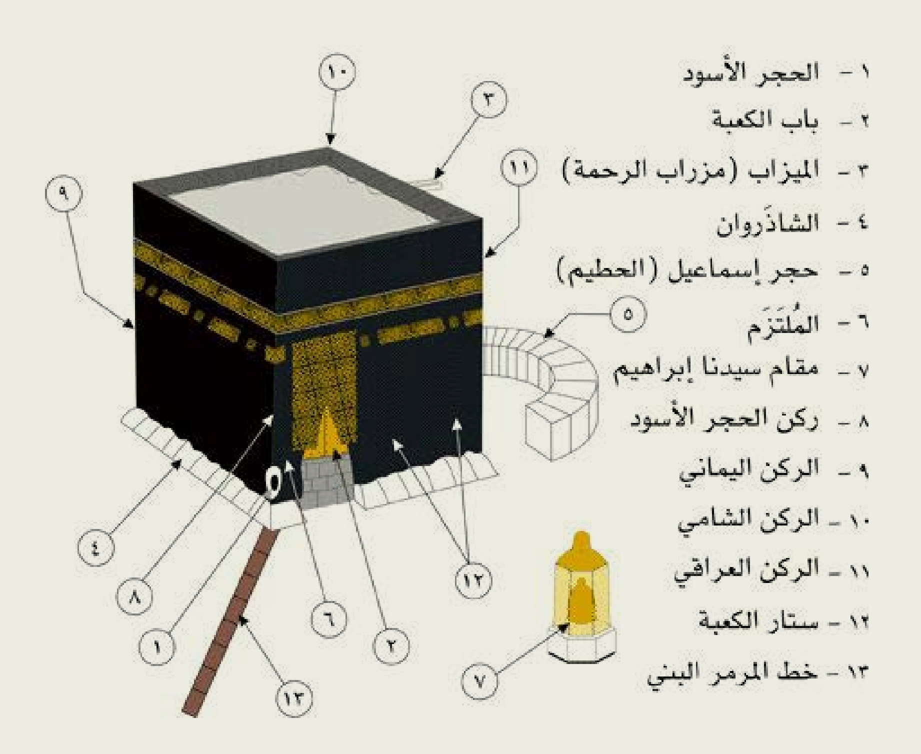
سلسلة أين؟

الكعبة؟

بيتُ اللهِ الحرام

الكعبة المشـــرفة

(قبلة المسلمين)



الفهـــرس

أبرهة وهدم الكعبة

تبدأ القصة في القرن السادس الميلادي وتحديدًا في العام ٥٧٠م مع ملك اسمه أبرهة، وهو ملك مسيحي من الحبشة استطاع أن يحتل اليمن ويجعلها تحت سيطرته.

ولما علم بأمر الكعبة التي يحج إليها العرب ويهْدون لها الكثير من الأموال، أراد أن تكون له هذه الأموال، فقام ببناء كنيسة كبيرة، وأمر القبائل العربية أن تحج إليها وتهدي لها الأموال كما تفعل مع الكعبة.



إلا أن العرب لم يهتموا بتلك الكنيسة، بل أهانوها وألقوا فيها القاذورات والقمامة، فغضب أبرهة غضبًا شديدًا وقرر أن يكوّن جيشًا كبيرًا ويجعل على رأس هذا الجيش فيلًا ضخمًا.

وفي الطريق إلى مكة، تصدّى لأبرهة أشراف العرب من اليمن.. وقامت حرب بينه وبينهم، إلا أن أبرهة هزمهم شر هزيمة ثم تابع سيره نحو مكة.



وما إن وصل جيش أبرهة إلى مكة، حتى وجدوا كثيرًا من الإبل فأخذوها وكانت هذه الإبل لعبد المطلب زعيم مكة وجد النبي محمد ﷺ.. وعندما علم عبد المطلب بذلك، قرّر الذهاب إلى أبرهة ليستردَّ إبله التي أخذها منه. ولما علم أبرهة بأمر عبد المطلب وما يريده.. تعجّب لذلك أشدّ العجب، فقد كان أبرهة يظنّه قادمًا إليه ليبعده عن هدم الكعبة بيت أجداده ودينه ودين قومه...



إلاّ أن عبد المطلب قال له:

أنا ربُّ هذه الإبل، وإن للبيت ربًّا يحميه.

تهيّأ أبرهة لدخول مكة، وطلب من قادة الجيش أن يوجّهوا الفيل الكبير نحو مكة لتتبعه الفيلة الأخرى، لكنّ الفيل برك على الأرض، ولم يقمْ، فضربوه بشدة.. ولكنه ظلَّ قاعدًا.

يا له من موقف غريب كلما وجهوا الفيل في أي اتجاه سار معهم، فإذا وجهوه نحو الكعبة رفض التوجه إليها وبرك على الأرض..



وفي الوقت الذي كان جنود أبرهة يحاولون هدم الكعبة... أرسل الله عليهم أسرابًا من الطيور.. وكان كلُّ طير يحمل أحجارًا ثلاثة، حجرًا في منقاره، وحجرين في رجليه.. ثم أخذت الطيور تقذف الجيش بهذه الحجارة التي كانت لا تصيب أحدًا إلا هَلَكَ، حتى دمَّرتهم إلاّ قليلًا منهم أصيبوا بجروح مختلفة..

وقد أصاب الله أبرهة بداءٍ غريب عقابًا له على تجرئه على هدم الكعبة، فكانت أصابعه وجلده وأطرافه تتساقط منه فترة بعد أخرى..

كلُّ هذا وقريش تنظر من فوق الجبال، وترى كيف أنّ الله أنزل عذابه على أصحاب الفيل.. وحمى بيته من الكافرين الأشرار.. ولقد خلّد الله تعالى تلك القصة في قرآنه الكريم، وأفرد لها صورة باسم الفيل.



﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ الفيل :١ - ٥

لذلك أُطلق على هذا العام عام الفيل؛ لأن العرب لم تكن تعرف التقويم بالسنين بل كانت تؤرخ لكل عام بحادثة شهيرة تقع في هذا العام.

ويشاء الله أن ينصر بيته ويحميه من أبرهة، ولقد أصبح هذا العام عام فرح وسرور لقريش وللعالم أجمع إذ في ذلك العام وُلد أفضل الخلق وخير الأنام محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين..

والآن هيا بنا أصدقائي نتعرف من بنى الكعبة من خلال قصة سيدنا آدم عليه السلام.

من بنى الكعبة؟

يقول الله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ البقرة: ٣٠

تلك كانت البداية، بداية وجود الإنسان على الأرض، فبعد أن خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له، أطاعوه إلا إبليس لم يسجد لآدم..

بدأت العداوة بين إبليس وآدم، ولما أسكن الله آدم وزوجته الجنة وحذرهما من الاقتراب من شجرة فيها، استطاع إبليس أن يغوي آدم ويجعله يعصي ربه، فغضب الله عليه وأنزله من الجنة إلى الأرض، ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ البقرة: ٣٦



لكن بعد أن هبط آدم وزوجته إلى الأرض كيف يعبدون الله تعالى؟ وكيف يقوم أبناء آدم وأحفاده بعبادة الله والتوجه إليه؟ فلابد من وجود قِبلة يتوجه إليها الإنسان في عبادته لله تعالى، لذلك أرسل الله تعالى الملائكة إلى سيدنا آدم لتريه المكان الذي اختاره الله كي يكون بيته في الأرض، وقِبلته التي ارتضاها للناس، فدلوه على مكة وبدأ آدم يبني أول بيت وُضع للناس.



وبعد أن بنى آدم عليه السلام الكعبة طاف حولها هو وحواء. ثم جاءت ذرية آدم وطافوا حول الكعبة.

لكن إبليس الذي رفض أن يسجد لآدم وأغواه في الجنة، وكان السبب في خروجه منها، والسبب الذي جعله يهبط إلى الأرض، لن يترك ذرية آدم تنعم بالأمن والسلام على الأرض بل هو في تحدٍ مع الإنسان كي يُدخل أكبر عدد ممكن منهم إلى النار.



فها هو يتحايل على بني آدم كي يصنعوا تماثيل لأناس كانوا صالحين حتى يتذكروهم فيقومون بعبادة الله مثلهم، ومع مرور الأيام تنشأ أجيال أخرى تعظم وتعبد تلك التماثيل من دون الله.

لكن الله تعالى لن يترك عباده للشيطان يضلهم، فيرسل سبحانه وتعالى لهم النبي تلو الآخر كي يهديهم إلى الطريق المستقيم، فأرسل الله تعالى نبيه نوح بعد فترة من الرسل وبعدما استطاع الشيطان أن يضل الناس ويجعلهم يعبدون الأصنام، فمكث نوح يدعو الناس ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولكن لم يؤمن معه إلا قليل.



وبعدما نفد صبر نوح على قومه دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى فقال:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧

فاستجاب الله تعالى لنبيه وأمره ببناء سفينة ضخمة يحمل فيها كل من آمن معه، إضافة لكل زوجين من الطيور والحيوانات، وذلك تمهيدًا للعذاب الذي سينزل على الأرض كلها.



وعندما حانت اللحظة الفارقة ركب نوح ومن آمن معه السفينة، وأمر الله الأرض أن تتفجر فيخرج منها الماء، كما أمر السماء أن تهطل المطر الغزير، حتى حدث أكبر وأعظم طوفان عرفته البشرية على وجه الأرض، فلم يترك شيئًا خارج السفينة إلا دمره.

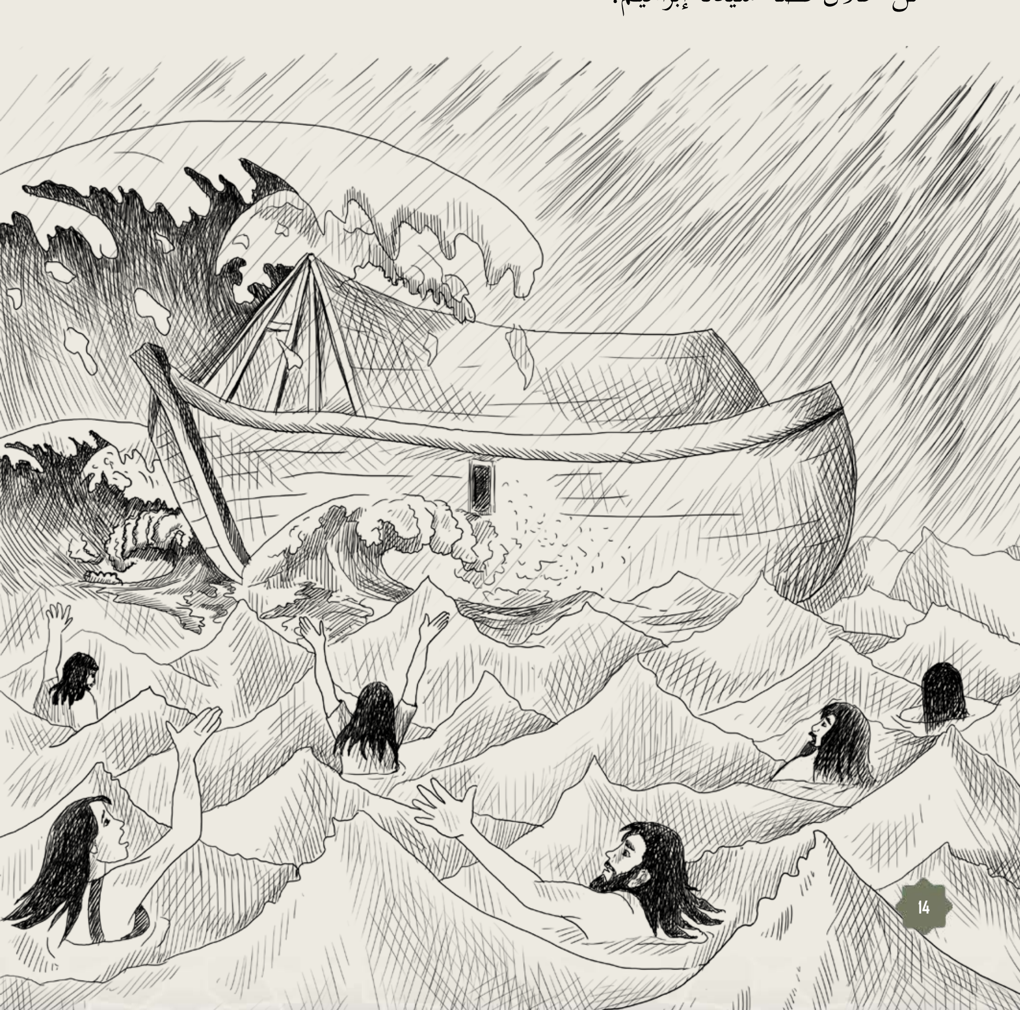
وكان للكعبة نصيب من ذلك الطوفان فقد دمر حوائطها التي فوق الأرض، ولم تعد موجودة بعد الطوفان، ولم يبق إلا القواعد التي تحت الأرض.



ورست السفينة على جبل الجودي وخرج منها نوح والمؤمنون معه، وكذلك الحيوانات إيذانًا ببدء حياة جديدة على الأرض.

لكن هل سيتوقف إبليس عن غواية بنى آدم بعد ذلك؟

بالطبع لا، لن يتوقف وستستمر غوايته البشر ومكره بهم، فتعالوا بنا نتعرف ذلك من خلال قصة سيدنا إبراهيم.



نبي الله إبراهيم

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في مدينة أور بالعراق وكان أبوه آزر صانع أصنام يعبدها الناس من دون الله، فلما اعترض إبراهيم على عبادة الأصنام وقام بتكسيرها غضب منه الناس وجعلوا له ناراً كبيرة كي يُلقى فيها، إلا أن الله تعالى نجاه من تلك النار وجعلها بردًا وسلامًا عليه.



خرج إبراهيم من النار دون أن تؤثر فيه، وهاجر من قريته هو ومن معه من المؤمنين وزوجته سارة وتنقلوا في عدة بلدان حتى وصلوا إلى مصر، فلما علم حاكمها بفضله ونبوته ومكانته أهداه امرأة مصرية تكون في خدمته وخدمة زوجته وهي السيدة هاجر.

ولما كانت السيدة سارة عقيماً -أي لا تنجب- قامت بإهداء السيدة هاجر لزوجها سيدنا إبراهيم فتزوجها لعلها تنجب له، وبالفعل أنجبت له مولودًا ففرح الأب به



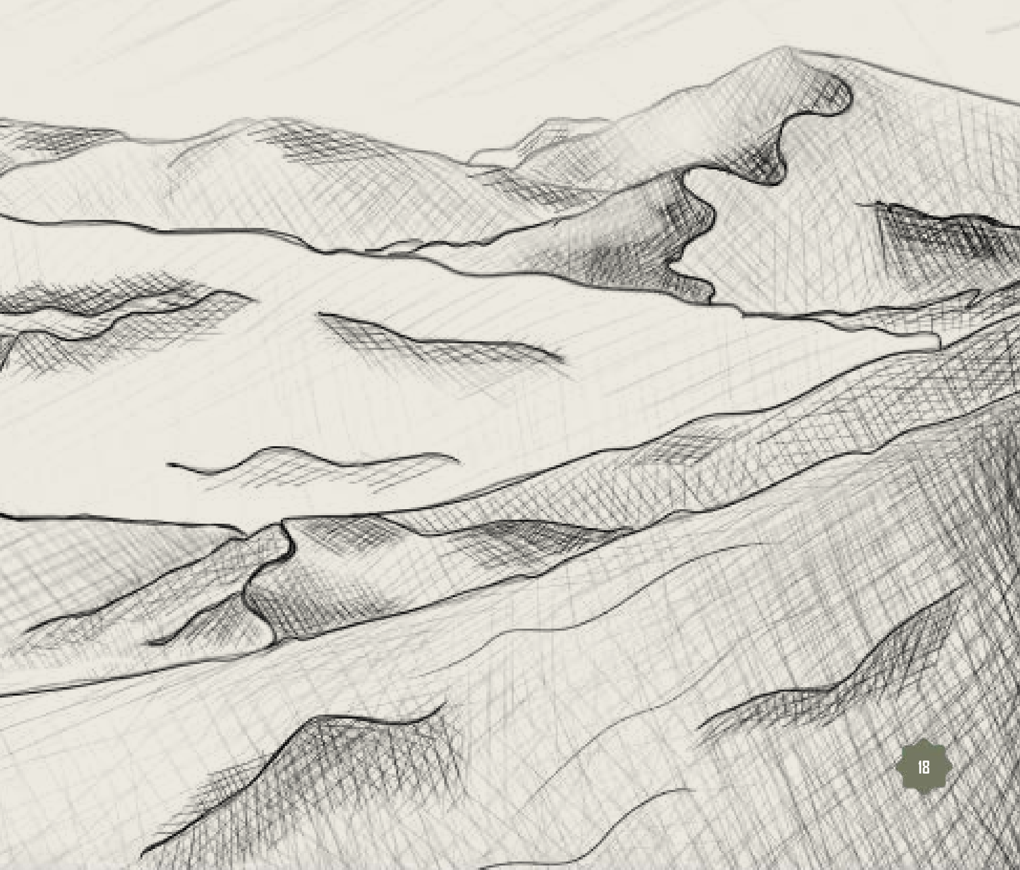
وأسماه إسماعيل، وفرح الأب بهذا المولود فهو لم يكن ينجب من قبل، وكثيرًا ما كان يدعو الله كي يرزقه الولد.

لكن سرعان ما تطورت الأمور ويقع إبراهيم في أول اختبار له مع ولده إسماعيل، فقد أمره الله تعالى أن يذهب بهاجر وابنها إسماعيل إلى مكان بعيد في وادٍ ليس به زرع ولا ماء ولا أناس يعيشون فيه عند بيت الله.



يا له من اختبار صعب؛ فهذا إبراهيم الذي طالما تمنى من الله أن يكون له ولد يرثه ويعقبه، بعد أن رزقه الله به يأمره سبحانه أن يتركه في صحراء لا حياة فيها، ولأن أوامر الله تعالى واجبة التنفيذ قام إبراهيم بتنفيذ أوامر الله دون تردد أو جدال.

وبالفعل يأخذ سيدنا إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى ذلك الوادي الذي لا زرع فيه ولا ماء بل هو مكان لا يقصده المارة في سفرهم فهو لم يكن طريقاً تعبر منه القوافل.



وتتعجب السيدة هاجر من هذا الموقف الغريب من سيدنا إبراهيم فهي التي أنجبت له الولد الذي طالما تمناه من الله، وتتعلق بدابته وتسأله عن سبب تركها في هذا المكان الذي لا حياة فيه، وهو لا يجيبها ويستمر في طريقه.

وتتوجه إليه مرات ومرات وأخيرا تسأله: آلله أمرك بهذا؟؟!!

فيقول إبراهيم: نعم.

فتقول هاجر: إذًا فلن يضيعنا الله أبدًا..



وغادر إبراهيم المكان حتى توارى عن الأنظار، ثم التفت إلى هذا الوادي قائلا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ براهيم: ٣٧

استسلمت هاجر استلاما تاما لقضاء الله، وهذا دائمًا شأن المؤمن، لا يعترض على قضاء الله، فإذا استسلم المؤمن لقضاء الله نال الخير كله، وإذا لم يستسلم وسخط على قضاء الله لم ينل إلا الشر في الدنيا والآخرة.

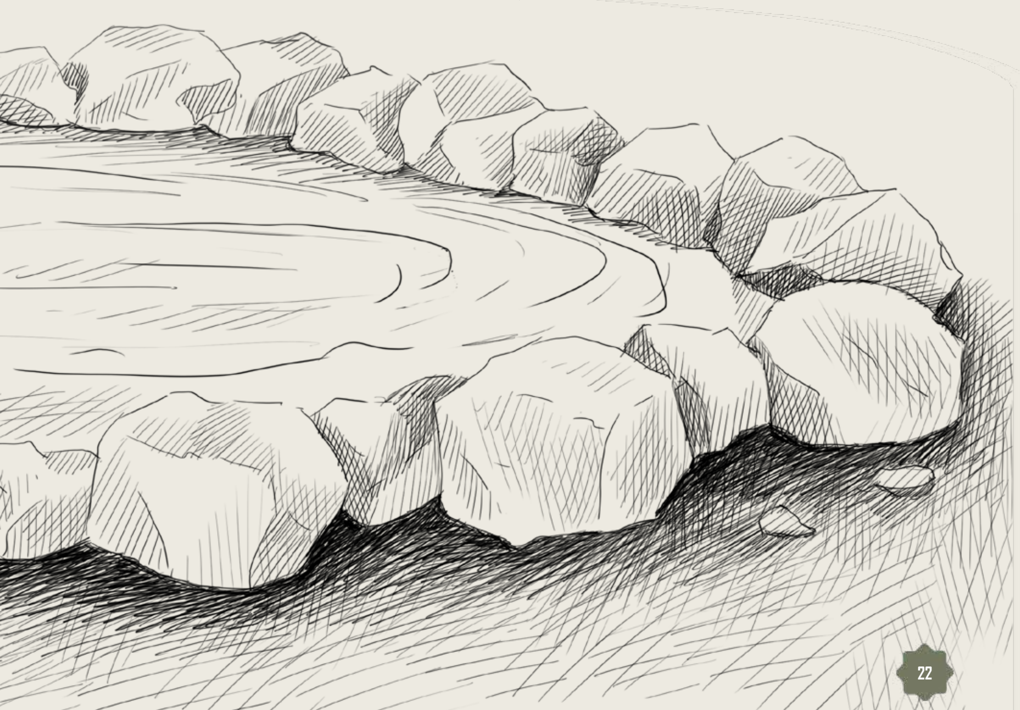
فها هي هاجر تجلس في ذلك الوادي هي ووليدها إسماعيل، وتمر عليها الأوقات تلو الأوقات وينفد منها الماء والطعام وتوشك على الهلاك، وصغيرها يصرخ من الجوع والعطش وهي لا تجد حولها ما تسد بها جوع ابنها وعطشه.

فسارت تبحث عن الماء يمينًا ويسارًا علّها تجد شيئًا فتنظر تجاه جبل المروة فيُهيَّأ لها أن نبعًا من الماء موجود، فتهرول إليه ولكن عندما تصل تجده سرابًا، لا شيء، فتعود سريعا لابنها الذي كان يصرخ، ثم تنظر تجاه جبل الصفا فيخيل إليها أن نبعًا آخر من الماء هناك، فتهرول إليه حتى إذا وصلت عنده لم تجد شيئًا، ووجدت سرابا، فتعود إلى وليدها.

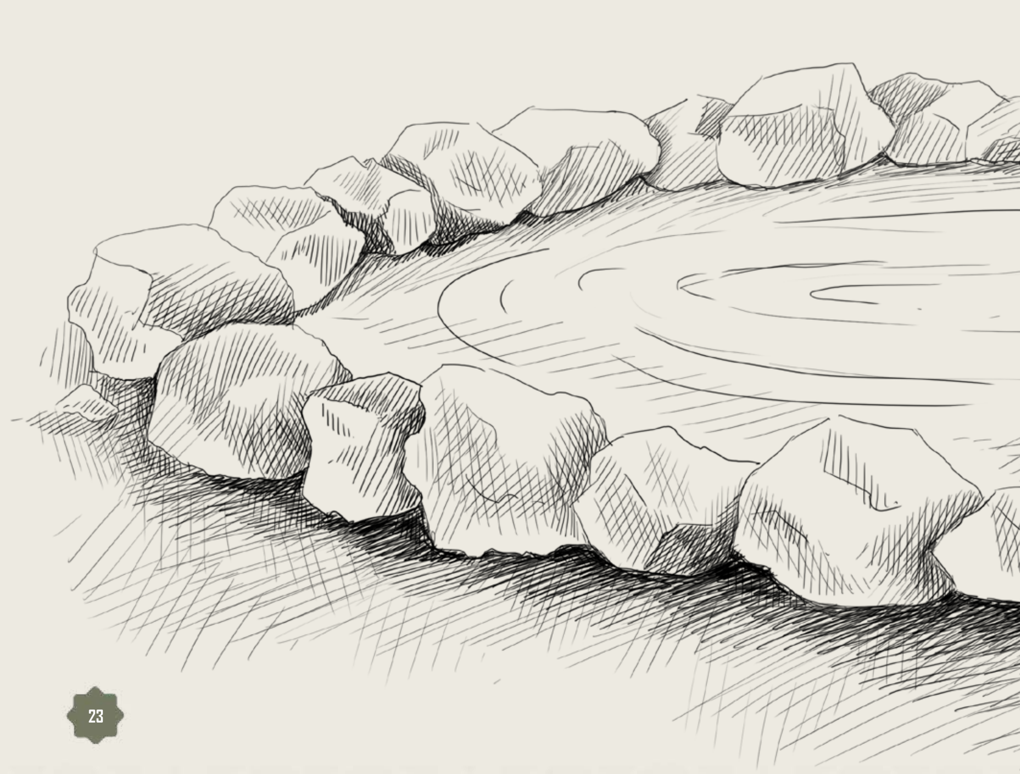


ظلت هاجر على تلك الحالة تسعى بين جبلي الصفا والمروة سبعة أشواط حتى أنهكها التعب ونال منها العطش فجلست إلى جوار ابنها مستسلمة لما قد يحصل لها بعد أن اتخذت سبل البحث عن الماء والطعام لوليدها في ذلك المكان الذي لا حياة فيه.

وفي تلك اللحظة، يشاء الله أن تحدث المعجزة،فإذا بالماء يتفجر من تحت قدم سيدنا إسماعيل، ويسيل في ذلك الوادي الذي لم يشهد مثل ذلك الماء من قبل.



وتتعجب السيدة هاجر من تلك المعجزة، وتمد يدها وتسقي وليدها حتى يرتوي، ثم تشرب هي حتى ترتوي، وتحمد الله وتشكره على هذا الكرم والفضل، وتحاول أن تحافظ على ذلك الماء وتجمعه كي لا يضيع في الصحراء قائلة له: زمي زمي، لذلك سمي الماء ماء زمزم.



عادت الحياة مرة أخرى لهذا المكان بعد أن كان واديًا لا حياة فيه، وذلك لأن الماء سر الحياة، وهذا يفسر لنا سبب تركُز البشر في الكرة الأرضية بجانب مصادر المياه العذبة وتركِهم للأماكن التي لا زرع فيها بسبب عدم وجود المياه التي تسقي الناس والزرع والحيوانات.

ولعل ذلك نتيجة صبر السيدة هاجر وإيمانها وتسليمها لأمر الله تعالى، فقد رزقها الله بماء لا ينقطع أبدًا إلى يوم الدين، وهو أفضل ماء على وجه الأرض.



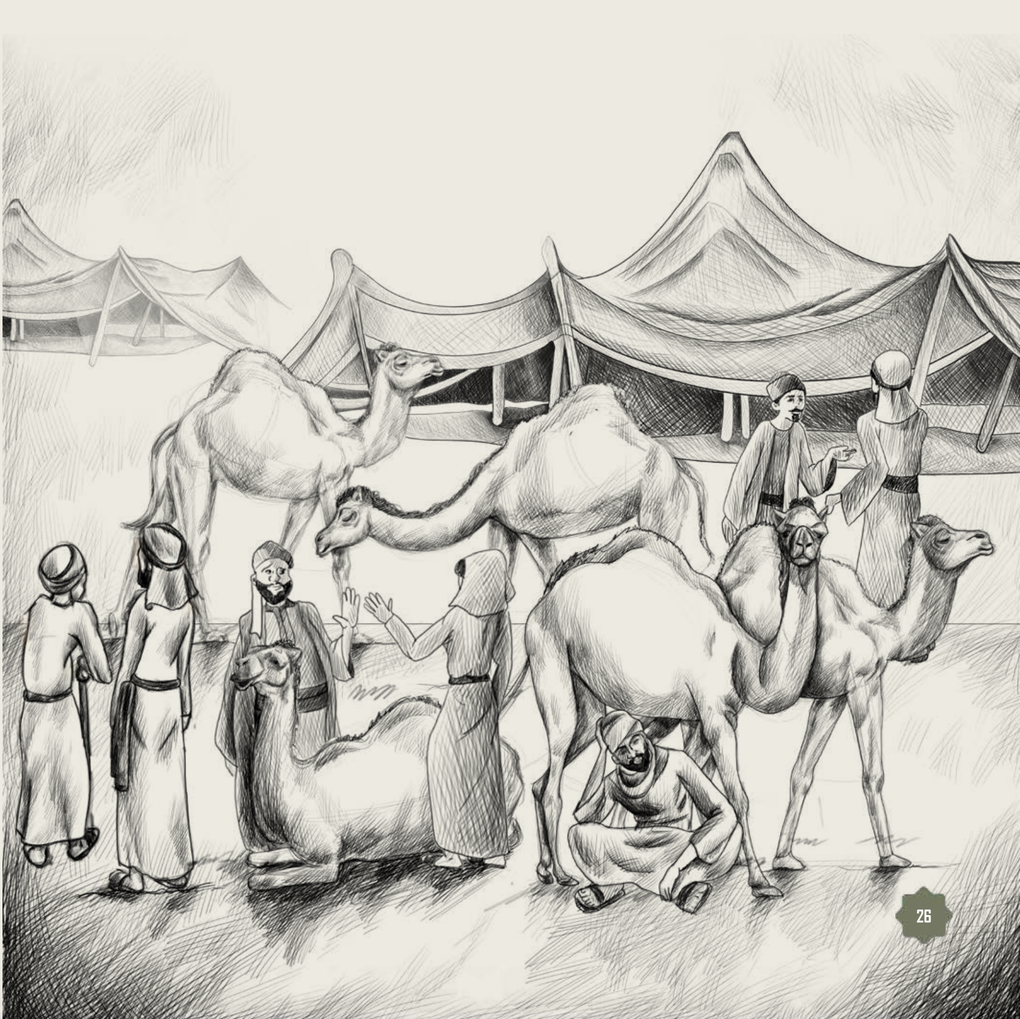
وفي أحد الأيام تمر قافلة لقبيلة عربية اسمها جُرْهُم من ذلك الوادي، فتشاهد من بعيد طيورًا تطير فوق بئر زمزم، فيتعجبون من وجود الطير في هذا المكان الذي لا توجد حياة فيه، لأن الطيور تحوم حول المكان الذي به ماء.

فيرسلون أحد أفراد القافلة ليستكشف الأمر فيعود سريعا ليخبرهم بوجود مياه في تلك المنطقة التي يعرفون جيدًا أنه لا يوجد بها مياه، ويخبرهم بوجود سيدة وابنها عند ذلك البئر.

بعد أن عرفت القافلة بأمر السيدة هاجر، وكيف تفجرت تلك المياه، استأذنتها القافلة في أن تنزل بجوارها لتعيش معها وتستفيد من المياه، فأذنت لهم، ففرحوا بذلك وكانوا إلى جوارها يساعدونها على العيش فى هذا الوادي.



ولكن هل سيترك سيدنا إبراهيم زوجته وابنه في ذلك المكان دون أن يطمئن عليهما؟ كلا فقد عاد بعد فترة إلى ذلك الوادي كي يطمئن عليهما، فوجد الناس قد سكنوا إلى جوارهم ووجد البئر، فسأل كيف حدث ذلك، فأخبرته السيدة هاجر بما حدث. ففرح إبراهيم عليه السلام واطمأن عليهما.



وفي يوم من الأيام وسيدنا إبراهيم عليه السلام في زيارة لزوجته هاجر وابنها إسماعيل يرى رؤيا أنه يذبح ابنه إسماعيل، وتتكرر الرؤيا مرات ومرات ويعلم إبراهيم عليه السلام أنها أمر من ربه؛ لأن رؤيا الأنبياء حق.

ويخضع إبراهيم عليه السلام لثاني اختبار في ولده إسماعيل، فبعد أن كبر وأصبح فتى يعتمد عليه أبوه، يجد الرؤيا التي تأمره بذبحه.

لكن هل سينفذ إبراهيم أمر الله في تلك المرة أم سيرفض؟
بالطبع سينفذ أمر الله؛ لأن المؤمن الحق لا يعصي الله أبدًا مهما كانت الظروف، فها هو إبراهيم عليه السلام ينادي على ولده ويخبره بما سيفعل به قائلا: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ الصافات: ١٠٢

وانظر إلى إسماعيل وموقفه، ماذا سيقول في هذا الموقف هل سيهرب ويبتعد عن أبيه أم سيستسلم لقضاء الله، يقول إسماعيل: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ الصافات: ١٠٢

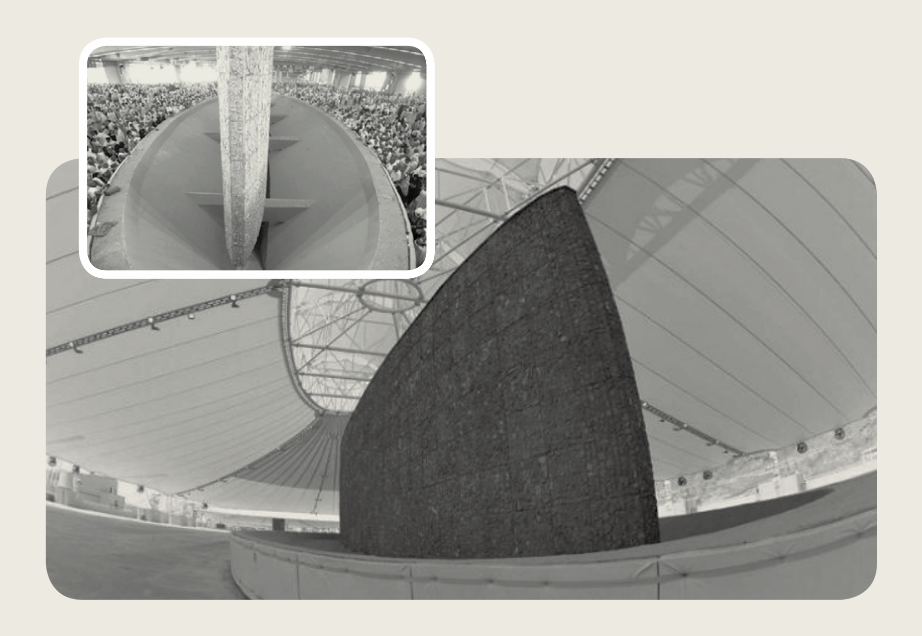
يا لها من أسرة مؤمنة تستمع لأوامر الله وتنفذها بكل صبر وإيمان دون تردد، فها هو إبراهيم عليه السلام بعد أن يرزقه الله بالولد من السيدة هاجر يأمره الله أن يتركهم وحدهم في الصحراء دون زرع أو ماء أو حتى أناس يلجأون إليهم في الشدائد.

ويصبر إبراهيم وينفذ أوامر الله دون تردد أو جزع، ثم لما يكبر ولده إسماعيل ويبلغ مبلغ الشباب الذين يعتمد عليهم الآباء، يأمره ربه أن يذبحه وينهي حياته.

ونجد إبراهيم يستمع لما يأمره به ربه، بل ويخبر ابنه ويجد ابنه صابرًا لا يعصي أمر الله، ويبلغ أباه أن يفعل ما يأمره به الله دون تردد.

ثم ها هي السيدة هاجر التي صبرت على وجودها في الصحراء وحدها، تجد ابنها الوحيد يُذبح، والذي يذبحه أبوه، فتصبر وتحتسب؛ لأن ذلك أمر من الله تعالى، وهي تعلم أن أمر الله لا يرده شيء، ويجب على المؤمن أن ينفذه.

وها هو إبراهيم يستعد لذبح ابنه ويأخذه ويذهب به إلى الجبل، وفي الطريق يظهر لهم إبليس، ويتناول إبراهيم سبع حصيات ويرجم بها إبليس.



ثم يتوجه إبليس إلى الفتى وها هو إسماعيل يتناول سبع حصيات من الأرض ويرجم بها إبليس حتى يختفي عنه.

ثم يذهب إبليس إلى السيدة هاجر محاولًا معها محاولة أخيرة, وتتناول السيدة سبع حصيات وترجم بها إبليس حتى يختفي عنها.

وتظل تلك الأعمال شعائر تتبع في الحج، وهي رجم إبليس بالجمرات، يفعلها الحجاج في أعمال حجهم طيلة أيام عيد الأضحى المبارك.

ويقف إبراهيم عليه السلام حاملا سكينه وأمامه ولده البكر إسماعيل كي ينفذ ما أمره الله به، وإذا هم في هذا الموقف وفي تلك اللحظة العصيبة إذا بالله سبحانه وتعالى يرسل ملائكته بكبش من السماء كي يفدي به إسماعيل من الذبح، فيفرح إبراهيم وإسماعيل ويحمدان الله تعالى.

ويقوم إبراهيم عليه السلام بذبح هذا الكبش بدلا من ابنه، ويقول القرآن في هذه القصة:
﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الصافات: ١٠٣-١٠٧

وأصبحت هذه شعيرة من شعائر الله يقوم بها المسلمون في عيد الأضحى من كل عام يذبحون الأضاحي تقربا لله عز وجل، وكل هذه الأحداث تحدث في مكة جوار بيت الله الحرام وهي تمهيد لبناء الكعبة المشرفة بيت الله الحرام.

ويستمر تكريم الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام وأسرته المباركة، فيأمره الله تعالى ببناء الكعبة التي هدمها طوفان نوح، فيعْلِمه الله مكان البيت الحرام، ويجد إبراهيم قواعد البيت تحت الحطام، فيبني على تلك القواعد ويساعده ابنه إسماعيل في بناء الكعبة.



وكان إسماعيل يحضر الحجارة لأبيه من محيط الكعبة من الجبال الموجودة هناك، وكان إبراهيم عليه السلام يبني الكعبة بيده، حتى إذا بناها وارتفع بها إلى أعلى ما تطول يده، أحضر حجرًا ووقف عليه وأعلى بناءها قدر الإمكان، فأثرت قدماه في الحجر، وتلك معجزة لا تحدث لأحد.

لذلك أصبح ذلك الحجر مقامًا يصلي خلفه الناس ركعتين عند دخول الكعبة، وسمي بمقام إبراهيم، تكريما له ورفعة من شأنه على ما بذله هو وابنه في بناء بيت الله الحرام.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥



ويرسل الله إلى إبراهيم عليه السلام حجرًا من الجنة كي يكون علامة للناس ببداية الطواف حول الكعبة، وهو الحجر الأسعد، الذي هو يمين الله في الأرض، ونزل جبريل يعلّم سيدنا إبراهيم عليه السلام مناسك الحج وكيفية الطواف حول الكعبة كي يعلمها للناس.

وبدأت الحياة الدينية تدب حول الكعبة، فقد نادى إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج، وأعلمهم كيفيته والطواف حول الكعبة.

ومازال الناس يحجون حول الكعبة حتى اليوم وإلى يوم القيامة ويطوفون كما طاف أبونا إبراهيم عليه السلام .



أهل مكة

إذا كنا سنتعرف على تاريخ الكعبة المشرفة عبر الزمان، فلابد لنا من معرفة القبائل العربية التي سكنت بجوار الكعبة، وما دورها، وكيف كانت حياتها بجوار بيت الله الحرام، وكيف تعاملت مع الحجيج، وماذا قدمت للكعبة من خدمات؟

ونعود بالذاكرة قليلا إلى الوراء، لما تفجّر الماء تحت قدم إسماعيل، ومرت قبيلة جُرْهُم واستأذنت السيدة هاجر في الإقامة عند بئر زمزم، وأذنت لها السيدة هاجر، كانت تلك القبيلة تسكن بجوار البيت بعد تفجر بئر زمزم.

وجُرْهُم قبيلة يمنية هاجرت وانتقلت من اليمن بعد انهيار سد مأرب الذي كان في اليمن.



ولما كبر إسماعيل وبلغ سن الزواج قام بالزواج من إحدى نساء قبيلة جُرْهُم، وازدادت القبيلة شرفا بزواج ابنتهم من سيدنا إسماعيل.

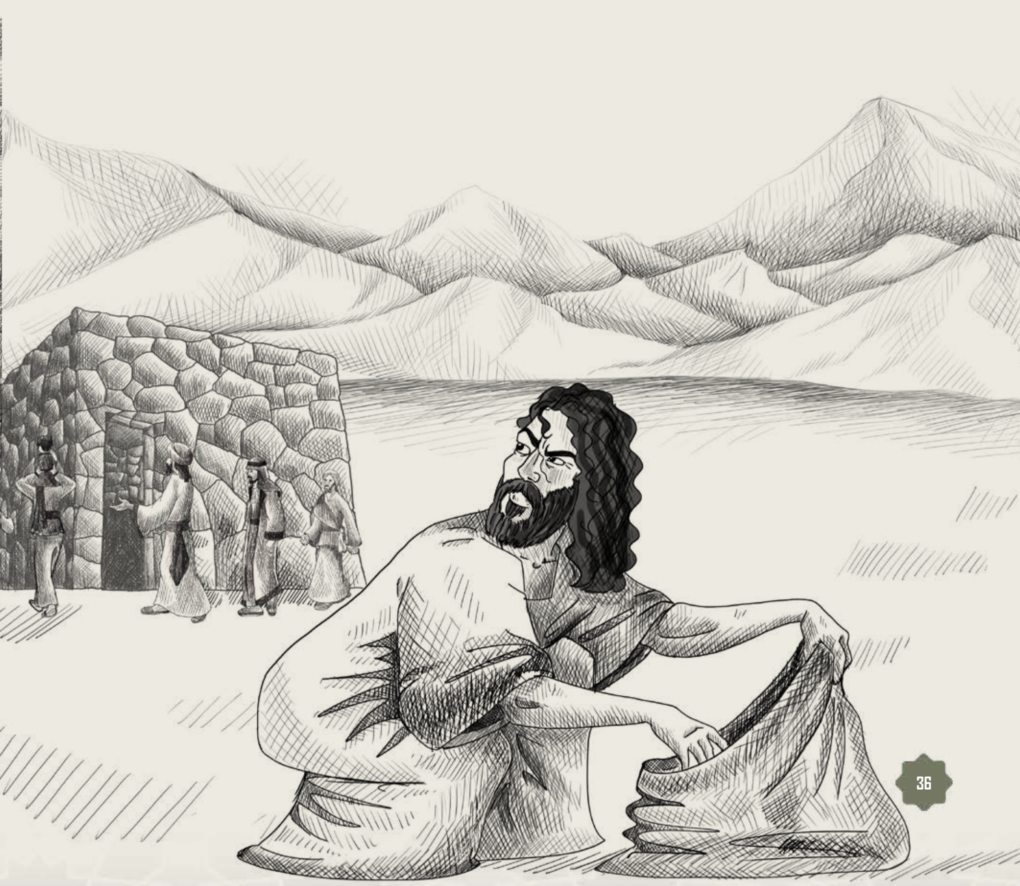
وكان لإسماعيل الزعامة على مكة وخدمة البيت الحرام حتى وفاته، وقد توفيت قبله أمه السيدة هاجر ودفنت بجوار البيت كما دفن إسماعيل بجوار أمه.

وتولى بعده ابنه زعامة مكة وخدمة بيت الله الحرام وخدمة حجيج بيت الله، لكن بعد وفاة ولد إسماعيل انفردت جُرْهُم بخدمة بيت الله وأصبح لها الزعامة في مكة وعلى كل القبائل، لأنها تقوم بخدمة الحجيج من إطعام وسقاية وغيرها من أمور خدمة بيت الله الحرام وزواره.



وظلت جُرْهُم تحكم مكة أكثر من ثلاثمئة عام، وفي تلك الفترة طغت وتجبرت جُرْهُم على غيرها من القبائل، ولم تراع حرمة بيت الله، فسرقت أموالا من الكعبة، كانت تُهدى لها من القبائل والنذور التي كانت تُعطى لخدمة حجاج بيت الله.

كما فرضوا الكثير من الضرائب على حجاج بيت الله، وعلى التجارة التي كانت تمر من أرضهم شمالًا وجنوبًا، ولم يكتفوا بذلك بل ارتكبوا الكثير من الذنوب والمعاصي بجوار الكعبة.



ولما وصلت جُرْهُم إلى هذا الحد غضب الله عليهم وسلط عليهم قبيلة أخرى وهي قبيلة خُزَاعَة، وهي إحدى القبائل العربية الموجودة في محيط مكة، فقامت حرب كبيرة بينهم استمرت أيام، وانتهت بهزيمة كبيرة ومذلة لجُرْهُم، واستطاعت خُزَاعَة أن تطرد جُرْهُم من حول بيت الله وتستقر هي حول الكعبة.

إلا أن جُرْهُم قبل أن تخرج من مكة قامت بعمل فاسد، ألا وهو ردم بئر زمزم الذي فجره الله تحت أقدام سيدنا إسماعيل.

وكان الهدف من ذلك ألا تستطيع خُزَاعَة العيش في مكة فتخرج منها هي الأخرى لتعود قبيلة جُرْهُم إلى جوار بيت الله مرة أخرى.



لكن خُزَاعَة استقرت حول بيت الله الحرام وانفردت بخدمة بيت الله، واستطاعت أن تحصل على المياه من عدة آبار أخرى حول مكة، وكان الأمر صعب جدًا في نقل المياه، إلا أن خُزَاعَة لم يكن أمامها غير ذلك.

إلا أن خُزَاعَة هي الأخرى لم تراع حرمة بيت الله وقامت بأمور سيئة، فمكة طريق تجارة تمر منه القوافل إلى الشام شمالًا وإلى اليمن جنوبًا، وكانت قبيلة خُزَاعَة تتاجر هي الأخرى ويخرج أفراد منهم للتجارة، وكان زعيمهم عمرو بن لحي من الذين يتاجرون ويخرجون خارج مكة.



وفي مرة من المرات تفاجأت خُزَاعَة بعمرو بن لحي وهو جالب أحد الأصنام ووضعه عند الكعبة كي يعبدها الناس من دون الله، وانتشرت عبادة الأصنام في الكعبة بعد ذلك، وأصبح لكل قبيلة إله يعبدونه من دون الله، ويقدمون له الهدايا والنذور، بل ويستشيرونه في كل أعمالهم.



لكن الأمور لا تظل على حالها فسنة الله في كونه هي التغيير من حال إلى حال، فقد كانت هناك قبيلة هي أحق بحكم مكة، وخدمة بيت الله الحرام من قبيلة خزاعة، وهي قبيلة قريش لأنهم أبناء إسماعيل، لكنهم كانوا متفرقين بين جبال مكة، ولم تكن تجْمَعَهم كلمة واحدة، ولم يكن عددهم بالكثير.

وكانت خزاعة تخشاهم، ودائمًا تترقب لهم الفرص كي تتخلص منهم، لأنها تعلم أنهم أحق الناس بالحكم.



إلا أن الأمور قد ساءت في مكة بعد ذلك، وأصبحت تموج في ظلام وجهل، وانتشر بها الخرافات والعرافات والدجل والكهانة والسحر، ولم تراع خزاعة حرمة بيت الله الحرام، وانتشرت عبادة الأوثان وشرب الخمر وفعل كل ما يغضب الله.

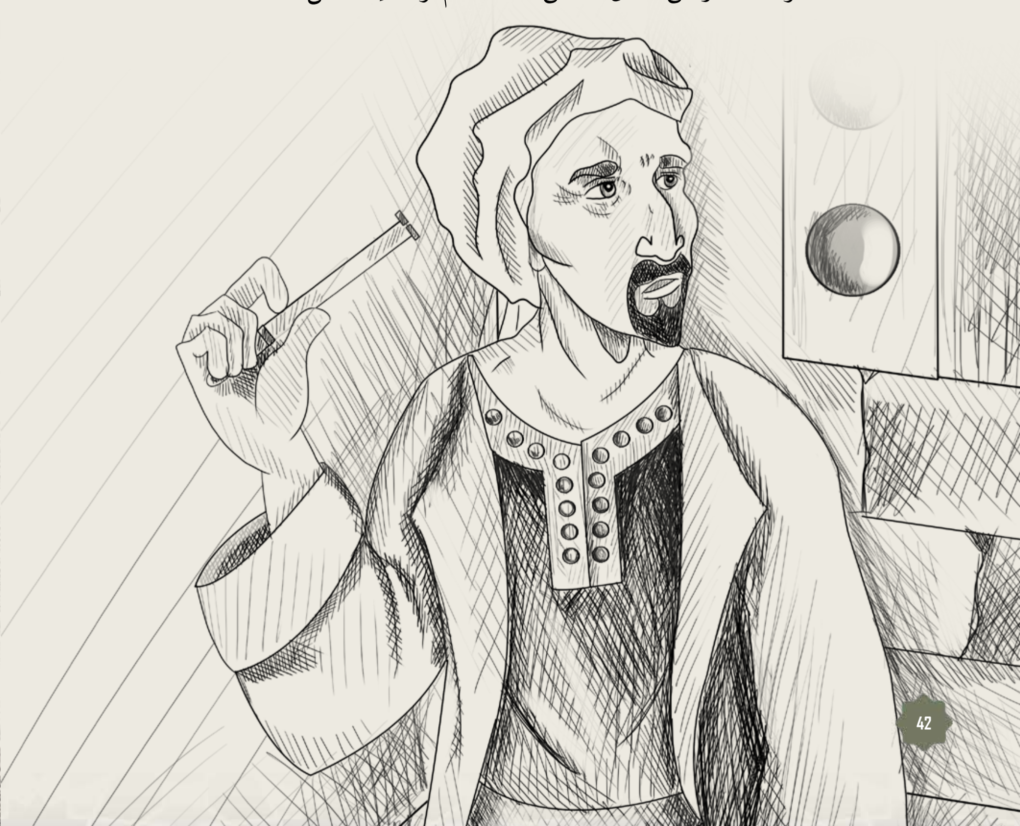
وحاولت مجموعة من قبيلة قريش التي كانت لا تزال على دين الأجداد إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام أن تُقَوِّم ذلك الانحراف، وتُعيد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهدم تلك الأصنام، إلا أن جهودهم باءت بالفشل، لأن زعماء مكة من قبيلة خزاعة هم من كانوا يديرون تلك العبادة التي تجلب لهم الكثير من المال.



حتى جاء أحد أفراد قبيلة قريش، وهو قصي بن كلاب، الجد الرابع لسيدنا محمد ﷺ، فقام بتوحيد أفراد قبيلة قريش، وجعلهم على كلمة واحدة، واستطاع أن يصاهر رئيس قبيلة خزاعة ويتزوج من ابنته كي يتقرب منهم.

ولما مات زعيم خزاعة أعطى مفاتيح الكعبة وأوصى بأمور خدمة الحجاج لقصي بن كلاب، إلا أن قبيلة خزاعة رفضت ذلك.

وأوشكت الحرب أن تقوم بين خزاعة وقريش، وكاد أن يُقضى على الجميع، لولا تدخل القبائل العربية في هذا النزاع وجعلوا أمر الكعبة ومفاتيحها في يد قصي بن كلاب لأنه وقبيلته قريش أحق الناس بها لأنهم ولد إسماعيل.



ولما استقر الأمر لقصي بن كلاب في خدمة الكعبة شرع في تحسين أمورها وخدمتها وقام على شؤنها أفضل قيام، كما استحدث وظائف جديدة لخدمة حجاج بيت الله الحرام مثل الحجابة والرفادة والسقاية.

كما قام بإنشاء دار الندوة وجعلها أمام الكعبة وهي التي تُعقد فيها اللقاءات والندوات والتباحث في أمور الحجاج وحل المشاكل التي تطرأ على مكة، وكانت كلمة قصي بن كلاب مسموعة لا يردها أحد.





- السقاية: هي موضع يتخذ لسقي الناس، وذلك أن أهل مكة في موسم الحج يملؤون حياضًا من الماء يحلونها بالتمر والزبيب ليشرب منها الحجاج.
- الحجابة: وهي عبارة عن الأمور المتعلقة بالكعبة وخدمتها من تنظيف وتطهير وحمل مفاتيحها.
- الرفادة: وهي طعام كان يصنع للحجاج على طريقة الضيافة.
- اللواء: والمراد به حمل الراية في الحرب.
- القيادة: وهي الرئاسة العامة على الجيش وتدبير شؤونه.

ويسير بنا الزمن إلى محطة أخرى من حياة الكعبة المشرفة، وهي مرحلة مهمة في تاريخها، مرحلة الإعداد النهائي لظهور خير البشر وسيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

فقد تولى جده عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، خدمة الكعبة وأصبح ذا شرف بين الناس، وكان سيدهم وأميرهم، يقول فيسمعون لقوله، ويأمرهم فيطيعون، ويطلب منهم فيُلبُّون، لا تُرد له كلمة، ولا ينازعه أحد في مكة، تماما كما كان جده قصي بن كلاب.

لكن كانت هناك الكثير من الصعوبات التي كانت تواجه عبد المطلب، فقد كثر الحجيج حول بيت الله ويلزمهم شراب وسقاء، والمياه تجلبها قريش من خارج الحرم من آبار بعيدة، ويكلفهم ذلك الكثير.

وبئر زمزم لا يعرف أحد مكانها لأن جُرْهُم قد ردمتها بعد أن هزمت من خُزاعة.



فماذا يفعل عبد المطلب في هذه المشكلة، وقد أشار عليه ابنه الحارث أن يبحثوا عن بئر زمزم في كل مكة.

وهنا تظهر بشارات من الله تعالى يعطيها لقريش ولآل عبد المطلب خاصة؛ كي يزدادوا شرفا وتكريما، فقد رأى عبد المطلب رؤيا في المنام تعلمه بمكان بئر زمزم المردوم.

وتتكرر الرؤيا حتى يخبر بها ولده الحارث، ويقومان بحفر البئر في المكان الذي رآه في نومه، إلا أن قريشًا حاولت منعه حتى لا يخرب البيت الحرام، وهو يحاول إقناعهم.



فيقوم بحفر البئر حتى إذا ظهرت المياه فرحت قريش بذلك، وحاز عبد المطلب شرف حفر بئر زمزم، فأصبحت المياه بجوار الكعبة يشرب منها الحجيج دون تعب أو عناء.
نذر عبد المطلب إن رزقه الله بعشر من الولد أن يذبح أحدهم عند الكعبة، وكان عبد المطلب لديه ولد واحد وهو الحارث الذي حفر معه بئر زمزم.
ويقدر الله أن يرزق عبد المطلب بعشر من الولد، ويحين الموعد للوفاء بنذره، وهو أن يذبح أحدهم، فيقترع عليهم ليختار أحدهم، وكلما اقترع تخرج القرعة على عبد الله ابنه، إلا أنه يحاول مرة أخرى، وفي كل مرة تخرج على ابنه عبد الله.



إلا أن قريشًا اعترضت على هذا الأمر خوفًا من أن يكون ذلك سنة في أبنائهم، ويقوم كل أب بذبح ابنه، كما أن عبد الله كان أحب أولاد عبد المطلب لقريش، لذلك عارضوا تلك الفكرة وسعوا إلى عبد المطلب كي يتراجع عن ذلك الفعل الصعب.

فقاموا بعمل قرعة بين عبد الله وعشر من الإبل، فكانت تخرج القرعة على عبد الله، فزادوا عدد الإبل، وفي كل مرة تخرج على عبد الله، حتى وصل عدد الإبل إلى مائة فخرجت القرعة على الإبل، ففرحت قريش وذبحوا الإبل وافتدوا بها عبد الله الذي سيصبح فيما بعد والد سيدنا محمد ﷺ .

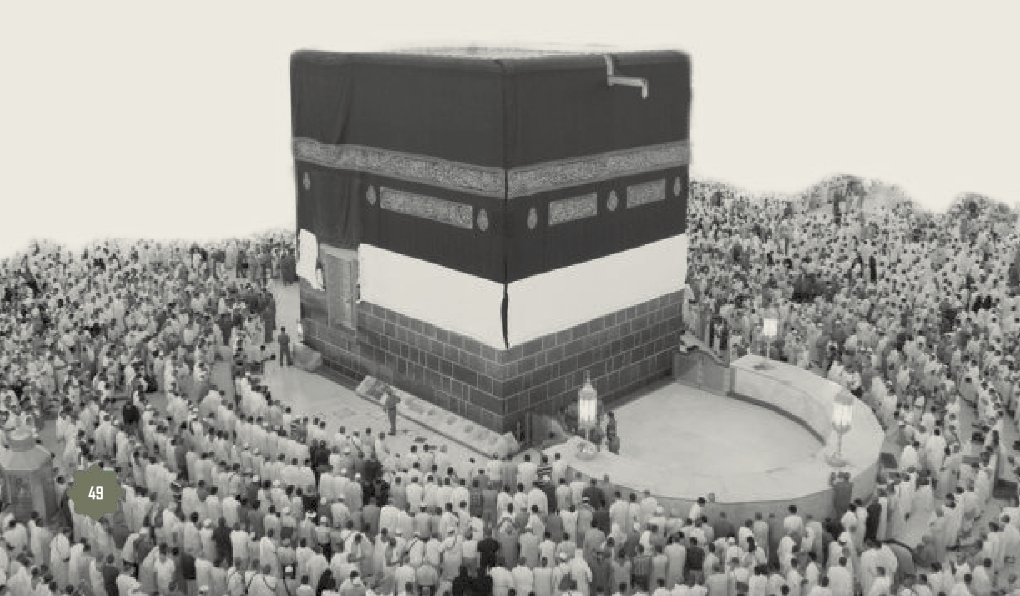


الكعبة المكان والمكانة

تعالوا بنا أصدقائي الأعزاء في هذا الفصل نتعرف أوصاف الكعبة من الداخل والخارج، وما يحيط بها، وما يوجد داخل المسجد الحرام.

أولًا: الكعبة من الخارج

تقع الكعبة المشرفة وسط المسجد الحرام تقريبًا على شكل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل، ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر مترا، وفي جانبها الشرقي يقع الباب مرتفعًا عن الأرض نحو مترين، وأركان الكعبة الأربعة هي الركن الأسود، والركن الشامي، والركن اليماني، والركن العراقي، وفي أعلى الجدار الشمالي يوجد الميزاب، وهو مصنوع من الذهب الخالص ومُطل على حجر إسماعيل.



الحجر الأسود

يوجد في الجنوب الشرقي من الكعبة، وهو حجر ثقيل بيضاوي الشكل أسود اللون مائل إلى الحمرة، وقطره ٣٠ سم، ويحيط به إطار من الفضة، ويطلب من الطائف تقبيل الحجر في كل شوط إن أمكن أو يشير إليه بيده.



باب الكعبة المشرفة

يرتفع باب الكعبة عن أرض المطاف حوالي ٢,٥ مترا، وارتفاع الباب ٣,٠٦ مترا، وعرضه ١,٦٨ مترا، والباب الموجود اليوم هدية الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله، وقد تم صنعه من الذهب، حيث بلغ مقدار الذهب المستخدم فيه للبابين حوالي ٢٨٠ كيلو جرام.

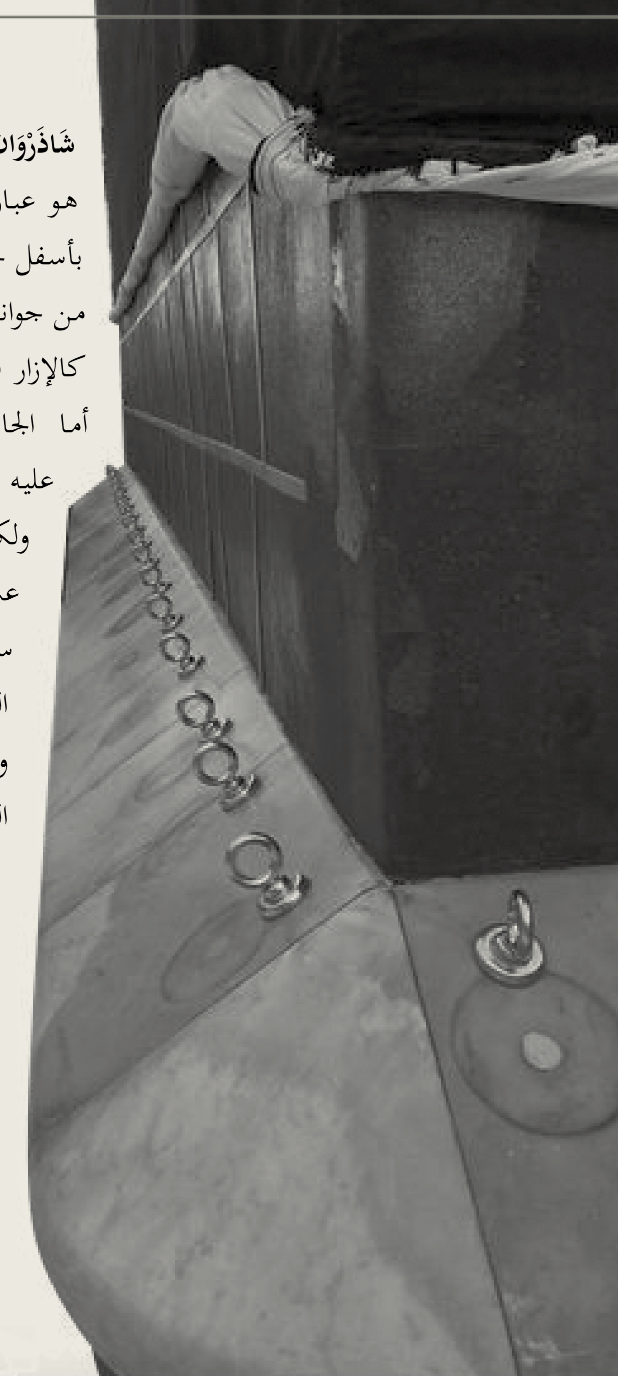


الميزاب

وضع هذا الميزاب في أعلى الكعبة المشرفة لتصريف ماء المطر الذي ينزل على سطحها، ويسمى ميزاب الرحمة، وهو الآن مصنوع من الذهب.

ويقع الميزاب في أعلى منتصف الجدار الشمالي للكعبة المطل على حِجر إسماعيل عليه السلام، ويرجع وضع الميزاب في سطح الكعبة المشرفة إلى تاريخ بناء قريش لها قبل بعثة الرسول ﷺ بخمس سنوات، وقد شارك الرسول في هذا البناء وكان عمره ٣٥ سنة، فبعد أن رفعوا باب الكعبة سقّفوها وجعلوا لها ميزابًا من الخشب لتصريف ماء المطر يصب في الحِجر، وقد كانت الكعبة قبل ذلك التاريخ دون سقف.





شَاذَرْوَان الكعبة المشرفة

هو عبارة عن الحجارة المائلة الملتصقة بأسفل جدار الكعبة المعظمة المحيطة بها من جوانبها الثلاثة. ويسمى تأزيرًا لأنه كالإزار للبيت.

أما الجانب المقابل لحِجر إسماعيل عليه السلام، فليس فيه شاذروان، ولكنها عتبة صخرية بارتفاع أحد عشر سنتيمترا، وعرض أربعين سنتيمترا، يقف عليها بعض الطائفين ملصقين بطونهم وأذرعتهم وأوجههم وأكفهم إلى الكعبة المشرفة تضرعًا بالدعاء.

ولم يوضع شاذروان في هذه الجهة لأنه لا يمثل حد البيت الشمالي، كما أنه لم يوضع شاذروان أسفل باب الكعبة المشرفة تيسيرا لوقوف الناس للتعلق بعتبة باب الكعبة والملتزَم للدعاء، ويوجد مكانه عتبة بطول ثلاثة أمتار وخمسة وأربعين سنتيمترا بارتفاع بسيط عن أرض المطاف.

والشاذروان – على الأصح – هو جزء من الكعبة المشرفة، وقيل إن أول من وضعه هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام لحماية جدار الكعبة المشرفة من تسرب المياه إليها، وربط حبال ستارة الكعبة المشرفة في حلقاته المثبتة فيه لهذا الغرض، ولإبعاد أجساد الطائفين عن الاحتكاك بستارة وجدار الكعبة؛ كي لا تتضرر أجسادهم ولا يسرع التلف إلى ستارة الكعبة.



حِجر إسماعيل عليه السلام (الحَطِيم)

يقع شمال غربي الكعبة المشرفة، وطرفا الحِجر محاذيان للركنين العراقي والشامي من أركان الكعبة، وهو فضاء نصف دائري، محصور ما بين الحطيم والكعبة المشرفة، كان هذا المكان منزلًا لإسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، وروي أنه موضع دفنهما.

الحِجر عبارة عن جدار يأخذ شكل نصف دائرة ارتفاعه ٣٠سم، وطرفا الحجر المحاذيان للركنين العراقي والشامي مفتوحان، والمسافة بين فتحتي الحجر نحو ٨ أمتار، وسمكه ٥٠سم، وهو مغلق بالرخام، والمسافة بين منتصف الجدار من داخله إلى منتصف ضلع الكعبة الشمالي ٨،٤٤م وهي مفروشة بالرخام.



وبالنسبة لحِجر إسماعيل فقد كان جزءًا من الكعبة المشرفة عندما أعاد بناءها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وبعد أن هدمت الكعبة على أثر سيل أصابها في إحدى السنوات وزالت معالم قواعدها الأساسية التي وضعها إبراهيم جاءت قريش وأعادت بناءها على ما ظهر لهم من قواعد وتركوا حِجر إسماعيل خارج الكعبة، ولهذا السبب لا تجوز صلاة الفرض داخل الحِجر لأنه يعد من داخل الكعبة وليس جزءا من الحرم.

المُلتَزَم

هو الجدار الموجود بين باب الكعبة المشرفة والحَجَر الأسود، ومقداره نحو مترين، وهو موضع إجابة الدعاء، ويسن به الدعاء مع إلصاق الخدين والصدر والذراعين والكفين، كما ورد أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما طاف وصلى ثم استلم الركن، ثم قام بين الحِجر والباب فألصق صدره ويديه وخده إليه ثم قال: «هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل».



مقام إبراهيم

هو الحَجَر الذي وقف عليه خليل الله إبراهيم عند بناء الكعبة، وكان إسماعيل يناوله الحجارة، وكل ما كمل جهة انتقل إلى أخرى، حتى انتهى إلى وجه البيت، وقد كان من معجزات إبراهيم عليه السلام أن صار الحَجَر تحت قدميه ليناً فغاصت فيه قدماه، وقد بقي أثر قدميه ظاهرًا فيه من ذلك العصر إلى يومنا هذا، وإن تغير عن هيئته الأصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحَجَر في المقصورة الزجاجية.

أركان الكعبة

ركن الحجر الأسود: سُمي كذلك لاحتوائه على الحجر الأسود، ويسمى أيضا بالركن الشرقي، ومنه يبتدئ الطواف.

الركن اليماني: سُمي باليماني لاتجاهه إلى اليمن، وقد يُطلق على الركن اليماني والركن الأسود (اليمانيان)، وعلى الركن العراقي والشامي (الشاميان)، وربما قيل (الغربيان). وإذا قيل «الركن» وحده فالمراد به الركن الأسود فقط.

الركن الشامي: سُمي بذلك لأنه إلى جهة الشام والمغرب، ويسمى هذا الركن أيضا بالركن الغربي، وبين هذا الركن والركن العراقي يقع حجر إسماعيل، الذي يصب فيه ميزاب الكعبة.

الركن العراقي: سُمي بذلك لأنه إلى جهة العراق، ويسمى هذا الركن أيضا بالركن الشمالي نسبة إلى جهة الشمال، وبين هذا الركن والركن الأسود يقع باب الكعبة.

ستار الكعبة

يصنع ثوب الكعبة من الحرير الأبيض الصافي البالغ ٦٧٠ كجم، وتتم صباغته باللون الأسود، وينقش عليه عبارات «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، «الله جل جلاله»، «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». وله دار مخصوصة تقوم بصناعته كل عام وتُسمى دار الكسوة.

خط المرمر البني

هو الخط الذي يحسب بداية الشوط ونهايته، ولا يحسب الشوط إلا إذا تعدى الطائف الخط.

الصفا والمروة

وهما جبلان كانت السيدة هاجر قد سعت بينهما كي تحصل على الماء كما ذكرنا من قبل، فصار بعد ذلك من أعمال الحج والعمرة الطواف سبعة أشواط بين الصفا والمروة يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ البقرة: ١٥٨



هل رأيت الكعبة من الداخل؟

يشم الداخل إلى الكعبة المشرفة ريحًا طيبةً، هي خليطٌ من المسك والعود والعنبر الذي يستخدم بكميات كبيرة في تبخيرها، وإليك صديقي العزيز وصفًا لما هو داخل البيت.

الأعمدة

يوجد بداخلها ثلاثة أعمدة مرصوصة في صف واحد، وهي تقريبًا في وسط الكعبة مصفوفة من الشمال إلى الجنوب، تكون على اليمين بالنسبة للداخل إلى الكعبة.
وقد كسى عبد الملك بن مروان العمود الأوسط بالذهب علي هيئة صفائح.
والأعمدة الثلاثة حتى الآن من الخشب ومحلاة بزخارف ذهبية. " ومحيط كل عامود منها ١٥٠سم تقريبًا وبقطر ٤٤سم، ولكل منها قاعدة مربعة خشبية منقوشة بالحفر على الخشب..



المعاليق

وهي ما يعلق داخل الكعبة وعلى الأعمدة من أشياء ثمينة مصنوعة من الذهب والفضة والبلور والأحجار الكريمة وغيرها.

فكان الخلفاء كثيرا ما يهدون لها أفضل الآنية المصنوعة من الذهب، التي يُحمل فيها العطر الذي تعطر به الكعبة من الداخل، كما كانت تُعلق فيها حلقات من ذهب وشموس وهلال مصنوعة من الذهب، كل ذلك تكريما لهذا البيت وتعظيمًا له.

أرضية الكعبة

قام الوليد بن عبد الملك بفرش أرضية الكعبة المشرفة بالرخام؛ وقد ميز منه رخامة جعلها بلون أبيض يختلف عن لون بقية الرخام المستخدم في فرش الأرضية، والرخامة البيضاء هذه هي موضع صلاة النبي ﷺ حين صلى بالكعبة يوم أن فتح مكة.



الأهمية التجارية للكعبة

اكتسبت مكة منذ القِدم أهمية تجارية؛ نظرًا لوجود البيت الحرام فيها، والكعبة المشرفة، التي هي مكان للحج وعبادة الله، والتي رفع قواعدها إبراهيم وإسماعيل أبو العرب عليهما السلام.

كما أن موقعها بالقرب من ساحل جدة على البحر الأحمر، وتوسطها بين الشام واليمن جعلها مقصد جميع التجار.

كما أن موسم الحج فيها يشهد تجارة رائجة قبل الإسلام وبعده، وإعلان مكة عاصمة العلم والدين في العالم كله.

لقد كان لوجود الكعبة وارتباط الناس بها عامل كبير في رواج الحركة التجارية في مكة، فكانت تقام الأسواق الدائمة والموسمية المرتبطة بفترة الحج، فكان للعرب عدة أسواق شهيرة قبل الإسلام، لأن مكة لم يكن بها زراعة، لذلك اعتمدت على الأسواق والتجارة الخارجية في جلب احتياجاتها.

فعندما يهل هلال شهر ذي القعدة، وتبدأ العرب في التوافد على الكعبة لبدء مناسك الحج، نجد سوقًا كبيرة، وتعد من أكبر أسواق العرب في الجاهلية وهو سوق عُكَاظ.

ذلك السوق الذي تباع فيه كل أنواع السلع، من أقمشة ومصنوعات خشبية وجلدية ولحوم وأطعمة مختلفة.



كما كان به جانب للشعر، فكان يجتمع كبار شعراء العرب فتتفاخر كل قبيلة بشعرائها، ويكون بينهم حكم يحكم للشاعر على شعره أهو جيد أم لا.
وبعد مرور عشرين يومًا من ذي القعدة، وهو مدة سوق عكاظ، تتجه الناس إلى سوق آخر وهو سوق مِجَنَّة، وهو أيضا يباع فيه الكثير من السلع والأطعمة والثياب التي يحتاجها الناس، ولا توجد في بلاد العرب.



وبعد انقضاء عشرة أيام من هذا السوق يكون قد هَلَّ شهر ذي الحجة، فتتجه الناس إلى جبل عرفات حيث يجدون سوق ذِي المجَاز، ويظل موجودًا حتى يوم عرفة، ثم بعد ذلك يتجه الناس إلى مناسكهم من طواف وسعي حتى ينصرفوا إلى بيوتهم بعد أن اشتروا ما يحتاجونه من الأسواق، وقضوا الحج والطواف حول البيت العتيق.



الكعبة والإسلام

أرسل الله تعالى الرسل لهداية البشر إلى عبادته وحده، وترك عبادة الأصنام؛ كي ينجوا من النار، واختص الله تعالى الكعبة بأن تكون قِبلة الناس إلى يوم الدين، كما اختص الله تعالى أهل مكة وقريش بأن تكون بينهم، وأن يكون منهم النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ ، وكان نبينا يرفض أن يسجد أو يعبد الأصنام كما كانت تفعل قريش، بل كان كثير التأمل في خلق الله، وكان له شهر في السنة، وهو شهر رمضان، يصعد فيه إلى جبل النور، ويتعبد في غار حراء، ويتفكر في خلق الله.



نزل الإسلام بالتوحيد والبعد عن الشرك بالله، وأمر الله سيدنا محمد ﷺ في البداية أن يدعو أهله فقط، فدعا زوجته السيدة خديجة، فآمنت به وصدقته، كما دعا الصديق أبا بكر لأنه كان صديقه المقرب منه فآمن به، كما دعا ابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان يتربى في بيت النبي ﷺ .

وبعد مرور ثلاث سنوات من بداية الدعوة السرية، أمره الله تعالى بالدعوة جهرا لكل الناس، فجمع قريش كلها في صعيد واحد وأخبرهم أنه نبي مرسل من الله تعالى.

فقامت قريش بتكذيبه، لأن هذه الدعوة ستضُرهم اجتماعيا واقتصاديا، فقد كان يجنون المال عن طريق الربا وبيع العبيد والاحتكار، وتجارة الأصنام، وكل ذلك سيَضِيع إذا أسلموا.

كما أن انتشار هذه الدعوة سيجعل محمد ﷺ زعيمًا لمكة، وستُسحب الزعامة من بين يدي كبار مكة؛ لذلك حاربوه بكل السبل.

السيدة خديجة

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وُلدت بمكة قبل الهجرة بـ ٦٨ عامًا، تزوجت قبل النبي مرتين وكان لها مال وتجارة كبيرة، استأجرت النبي محمد ﷺ قبل بعثته بـ ١٥ عاما كي يتاجر لها في مالها لما علمت فيه من أمانة وصدق، طلبت منه الزواج فقَبِلَ وكانت أول زوجات النبي ﷺ وكان عمرها ٤٠ سنة وعمر النبي ٢٥ سنة، وكانت دائما تسانده وتعينه في أمر الرسالة والدعوة، وكانت أول من أسلم من النساء، وهي التي أنجبت كل أولاد وبنات النبي، ما عدا إبراهيم فقد ولدته السيدة مارية القبطية، توفيت السيدة خديجة في عام الحزن الذي مات فيه أيضا أبو طالب عم النبي ﷺ.

عذبوا أصحابه، وقتلوا الضعفاء منهم، حتى إنهم حاصروهم في شِعْب أبي طالب، وكتبوا المواثيق والعهود بألا يتم التعامل معهم، لا بيع ولا شراء منهم، حتى أصيبوا بمجاعة عظيمة، وكانوا يأكلون أوراق الشجر من شدة الجوع.

والشِّعْبُ هو الطريق الضيق بين الجبلين، وكان يطلق على هذا الشِّعب شِعب أبي طالب.



وقاموا بتعليق تلك الاتفاقية في جوف الكعبة وأغلقوا الباب عليها، حتى لا تصل إليها يد أحد، وكي يعرف العرب قيمة هذه الاتفاقية ويحترموها.

وظلوا محاصرين في الشِّعب لا يجدون ما يأكلونه إلا ما كانت ترسله لهم السيدة خديجة من وراء كبار مكة، إلا أن المعجزة حدثت؛ فقد أخبر سيدنا محمد ﷺ عمه أبا طالب أن الصحيفة قد أكلتها «الأرضة» وهي حشرة صغيرة، ولم تبْقِ فيها شيء إلا كلمة «باسمك اللهم».

فلما تحققوا من الأمر وجدوا ما أخبرهم به النبي ﷺ فأجمعت القبائل على أن يعود المسلمون إلى ديارهم ويتم فك هذا الحصار.



وتسير الأيام، ولا يقدر محمد ﷺ وأصحابه على المكوث في مكة، فيأمرهم نبيهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن بها ملك عادل لا يُظلَم عنده أحد، وهو النجاشي، فينجون بأنفسهم من هذا العذاب الذي يجدونه في مكة.

ولكن العذاب يشتد أكثر وأكثر بمن بقي ولم يقدر على الهجرة إلى الحبشة، فيفتح الله لهم مكانًا جديدًا للدعوة، وهو يثرب، المدينة المنورة، لإقامة دولة جديدة يُحكم فيها بشرع الله ولا تعبد فيها الأصنام.

وما أصعبه من مشهد، خروج سيدنا محمد ﷺ من مكة وهو يخاطبها وعيناه تترقرق بالدموع، وقلبه يخفق شوقًا وحنينا لبيت الله، وهو يقول: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت». (رواه أحمد)

لكن الله بشره بعودته مرة أخرى فاتحًا منتصرًا.



وبعد أن استقر في المدينة وكوّن أول مجتمع مسلم هناك أمره الله بقتال المشركين، فأراد سيدنا محمد ﷺ أن يحرم أهل مكة طريق التجارة إلى الشام، فاعترض قافلة بها أموال قريش، إلا أن أبا سفيان استطاع أن ينجو بالقافلة، لكن كفار قريش صمموا على القتال.

فوقعت غزوة بدر التي كان النصر فيها للمسلمين، ثم تكررت الحروب بين الكفار من أهل مكة والمسلمين .



حتى جاءت رؤيا للنبي ﷺ في العام السابع بعد الهجرة النبوية، وهي أنه سيحج للبيت الحرام، فأخبر أصحابه وعزموا على الذهاب إلى البيت مُلَبِّين بالعمرة، إلا أن أهل مكة من الكفار اعترضوا طريقه ومنعوه أن يدخل مكة.

وعقدوا مع النبي ﷺ اتفاقًا، سُمي بعد ذلك بصلح الحُدَيبية، مفاده أن يرجع النبي هو وأصحابه هذا العام ولا يؤدون العمرة على أن يعودوا في العام القادم.

ولكن قريشًا نقضت عهدها هذا مع النبي، وقامت بالاعتداء على قبائل من حلفاء النبي، فقام النبي بتجهيز حملة كبيرة تضم عشرة آلاف مقاتل، وهو جيش ضخم جدًا، وذهبوا لفتح مكة واسترداد البيت الحرام.



ويشهد الزمان والمكان على الدخول المهيب لهذا الجيش العظيم من كل أبواب مكة، وهم يرفضون أن يقتلوا أحدًا أو يعتدوا على حرمة البيت الحرام، ودخلوا مكة وفتحوها، ودخل النبي الكعبة وكان حولها وداخلها ٣٦٠ صنمًا فهدمها وأمر بتنظيف الكعبة وهو يردد قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ الإسراء: ٨١



ويعتلي بلال الكعبة ويؤذن فوقها ويتجمع الناس للصلاة ويصلي بهم النبي ﷺ وهم في قمة فرحهم وسرورهم، ثم يسأل النبي ﷺ أهل مكة: ماذا يظنون أن يفعل بهم بعد أن أهانوه وعذبوا أصحابه؟

فيطلبون منه العفو والسماح، ويقولون: أنت أخ كريم وابن أخ كريم.

وإذا بالنبي يرد عليهم بالعفو والتسامح ويقول: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وتُفتح مكة، ويستردها النبي والمسلمون معه ويحطمون الأصنام ويطهرون الكعبة من الداخل والخارج، ويكسوها النبي كسوة جديدة إعلانا منه أن الإسلام قد ساد في هذه البلاد، وأصبح هو الدين الغالب.

وفي العام ١١هـ تشهد الكعبة حجة النبي الأولى والأخيرة، ويخاطب فيها المسلمين بخطاب عام وهو على جبل عرفة، يحذرهم فيها من الدماء وحرمتها، وأموال الناس وحرمتها، وأن الله ارتضى لهم الدين وأكمله لهم فلا يموتون إلا وهم مسلمون.

وبعدها يعود النبي إلى المدينة ويمرض مرضه الذي مات فيه، ويلتحق بالرفيق الأعلى تاركا أصحابه أمناء على رسالته التي كُلّف بها بعد أن ترك للأمة الكتاب والسنة كي يتمسكوا به فلا يضلوا أبدًا.

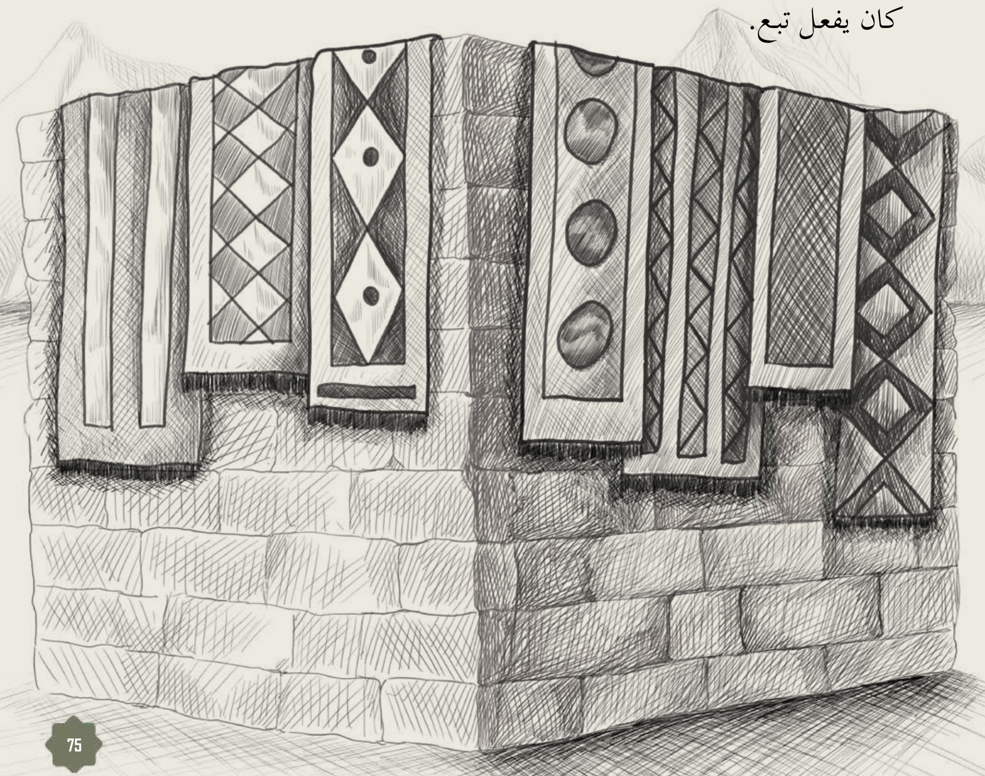
لكن هل تتأثر الكعبة بمرور الزمن وتحتاج لإصلاح؟

نعم فهي بناء من حجر مثل بقية الأبنية تتأثر بما تتأثر به وتحتاج لرعاية وصيانة مستمرة، فهيا بنا أعزائي نتعرف تاريخ ترميم وصيانة الكعبة على مر العصور.

ترميم الكعبة

لقد حظيت الكعبة المشرفة باهتمام كل من زارها ورآها من المسلمين، حتى إن غير المسلمين اهتموا بها، فقيل إن أول من كساها وغطاها بالأقمشة الملك تُبَّع الثالث الذي كان يريد هدمها، فأصابه الله بمرض لا يبرأ منه، فأشار عليه الحكماء أن يكسوا الكعبة ويكرمها حتى يشفيه الله وقد حدث.

وسار يكسوها طيلة حياته حتى مات، ثم جاء من بعده ملوك اليمن يكسونها كما كان يفعل تبع.



ومنذ أن قام قصي بن كلاب باستلام شؤون الكعبة من سقاية ورفادة وحجابة كما ذكرنا سابقا، بدأ بالاهتمام بها وترميمها وتنظيف مكان الطواف للحجيج هو وأبناؤه من بعده.

حتى جاء عصر الرسالة المحمدية، وقام سيدنا محمد بكسوتها والاهتمام بها، كما قام سيدنا أبو بكر بالاهتمام بها وتنظيف المطاف والمسعى للحجاج وكسوتها.

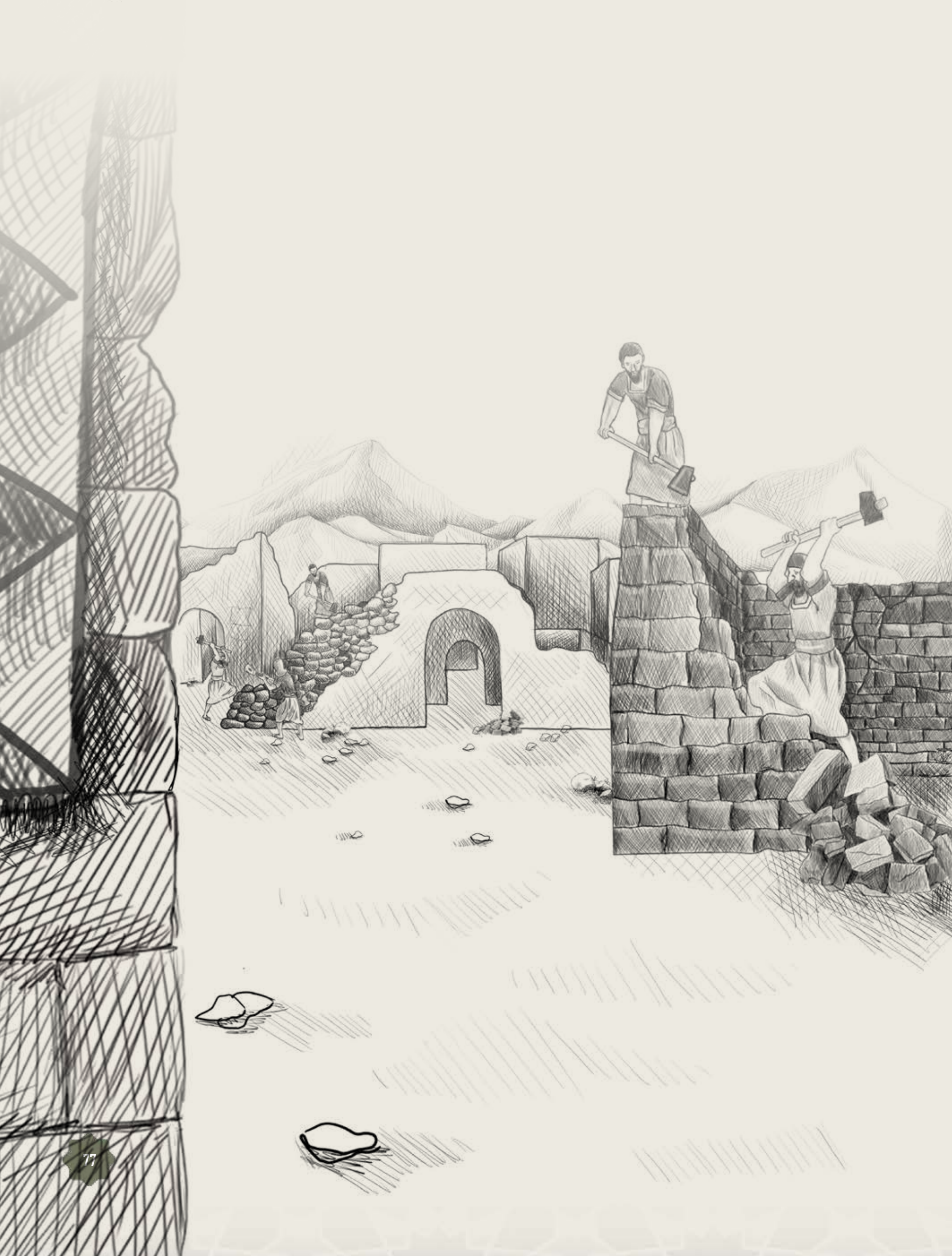
وفي عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اتسعت الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين الذين يفدون على الكعبة للحج، كما أنه حدث سيل أضر بالكعبة ونقل مقام إبراهيم من مكانه وهدم البيوت وأثر في جدران الكعبة.

فقام عمر بن الخطاب بشراء البيوت التي حول الكعبة وهدمها وأوسع المطاف حول الكعبة، كما قام بإعادة مقام إبراهيم إلى مكانه، وبنى سورًا حول الكعبة كي لا يصل إليها السيل مرة أخرى.

وقام بترميم ما تضرر من جدران الكعبة، ويعد هذا أول توسعة في الكعبة على مدار التاريخ، وكان ذلك عام ١٧هـ.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان، ونظرًا لاتساع الرقعة الإسلامية، ودخول الكثير في دين الله تعالى وكثرة عدد الحجيج، قام بشراء البيوت المحيطة بالكعبة، وعمل توسعة أخرى كي تستوعب العدد، كما فعل عمر بن الخطاب.

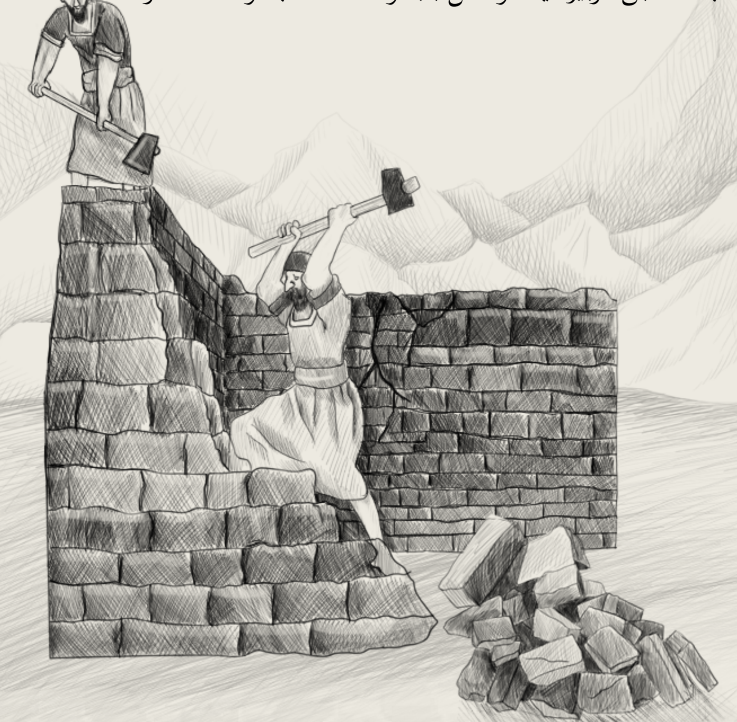
كما قام بعمل أروقة وأماكن يستظل بها الحجيج من حرارة الشمس، وأدخل الأعمدة الرخامية في عمل الترميمات، وكان ذلك عام ٢٦هـ.



وفي عام ٦٥هـ قام عبد الله بن الزبير بهدم الكعبة تمامًا وإعادة بنائها بعد أن تأثرت أسوارها، فهدمها حتى وصل إلى قواعد إبراهيم الأولى التي رفعها هو وابنه إسماعيل، وجعل لها بابان، وأنزل بابها على الأرض.

كما دعم الكعبة من الداخل بثلاثة أعمدة كبيرة، وزاد في مساحة المسجد الحرام كي يتسع للحجيج.

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قام بعمل ترميمات أخرى للكعبة، فتم هدمها بعد أن تصدعت جدرانها، وأعادة بناءها مرة أخرى، وأشرف عليها هذه المرة الحجاج بن يوسف الثقفي، حاكم مكة والمدينة، فقام برفع بابها مقدار متر ونصف كما كان عليه قبل بناء عبد الله بن الزبير، وأخرج حِجر إسماعيل من البناء بعد أن أدخله عبد الله بن الزبير فيه، وجعل بابًا واحدًا للكعبة وسد الآخر.



وفي عهد الوليد بن عبد الملك الأموي قام أيضًا بعمل ترميمات وتحديثات للكعبة المشرفة، فقام بنقل أعمدة من رخام من مصر والشام إلى الكعبة وجعلها لدعم أسقفها وأروقتها.

كما سقفها بالخشب المزخرف ونقشها بالذهب من الداخل والخارج، كما دعم المسجد بالرخام من داخله وخارجه.

وأهدى الكعبة المشرفة هلالين وسرير من ذهب، وفرش جوف الكعبة بالرخام الأبيض والأخضر، وزارد في مساحة المسجد الحرام كي يستوعب عدد الحجيج.



أما في عصر الخلافة العباسية فقد اهتم خلفاؤها بالترميم والتزيين، تعظيمًا وتكريما لهذا البيت.

فقد قام الخليفة المنصور ١٣٩هـ بزيادة مساحة المسجد وأصلح من عمارتها وطور منها، كما بنى مئذنة في ركن المسجد الشمالي الغربي عرفت باسم مئذنة بني سهم.

كما فرش حِجر إسماعيل بالرخام وأحاط بئر زمزم بسياج لمنع سقوط الناس فيه.



أما عن الدولة العثمانية فقد أظهرت من الاحترام والتقدير للكعبة المشرفة ما دل على مدى مكانة الحرم المكي لدى تلك الدولة.

فقد قام السلطان سليم بإعادة بناء عدة أروقة وحوائط كانت متهالكة، نتيجة للسيول والأمطار التي تعرضت لها الكعبة، وكان ذلك عام ٩٧٩هـ، كما زاد في القِبَب والأروقة والمظلات من حرارة الشمس.



وفي عهد السلطان العثماني مراد الرابع ١٠٣٩هـ – ١٦٣٠م نزل بمكة مطر غزير ومن ثم تحول إلى سيل جارف دخل المسجد الحرام وهدم جدرانًا من الكعبة، ودخل الماء إلى جوف الكعبة وحمل جميع ما فيها إلى الخارج.

وانتشر في أجزاء المسجد الكتب والأموال الذهبية والهدايا التي كانت أهدتها الملوك والخلفاء على مر العصور نتيجة لهذا السيل.

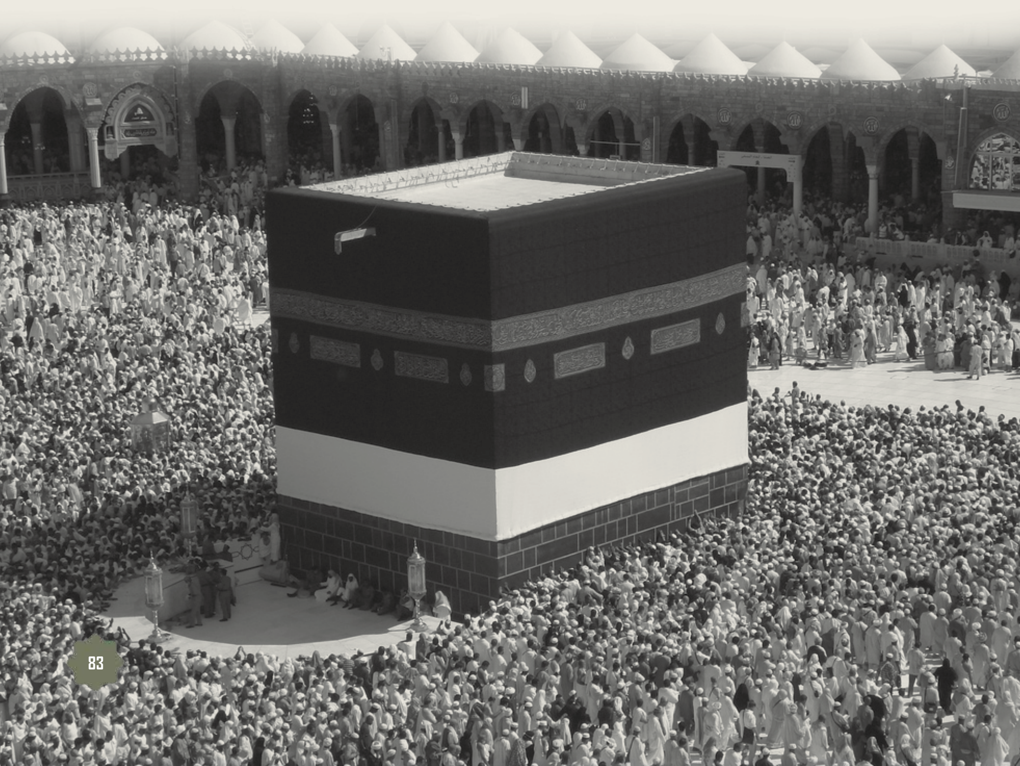
فحاول المهندسون أن يرمموا الكعبة إلا أن الترميم لم ينفع، فأمر الخليفة العثماني مراد الرابع بهدمها وإعادة بنائها مرة أخرى وبالفعل تم الهدم والبناء.

وهذا البناء هو ما عليه الكعبة حتى الآن، ووسع في الطواف وبنى الأروقة وجعلها بالطابع العثماني الذي تتميز به العمارة العثمانية بكثرة القباب والأعمدة.



وفي عهد الدولة السعودية الذي يبدأ من عام ١٩٣٢م حتى الآن:

فإن أول توسعة حصلت في العهد السعودي كانت سنة ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، وتم خلالها بناء المسعى من طابقين، لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين، وتمت توسعة منطقة المطاف في صحن الكعبة كما هي على شكلها الآن، وحافظت هذه التوسعة على الطراز العثماني وهندسته المعمارية في أروقة الحرم المكي، وتم دمجها مع التوسعة الجديدة ليعطي ربطًا بين الحاضر والماضي.





وعرفت توسعة الملك فهد بأنها أكبر توسعة للمسجد الحرام منذ أربعة عشر قرنًا، وكانت في عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م. وتضمنت التوسعة إضافة جزء جديد على مبنى المسجد الحالي من الناحية الغربية، كما شملت تجهيز الساحات الخارجية.

وجاءت توسعة الملك عبد الله بن عبد العزيز، الذي أمر بتنفيذ مشروع عملاق يشمل المسجد الحرام والمنطقة المحيطة به، بدءًا بالجهة الشمالية، لاستيعاب ما يصل إلى مليوني مصلٍ في آن واحد.

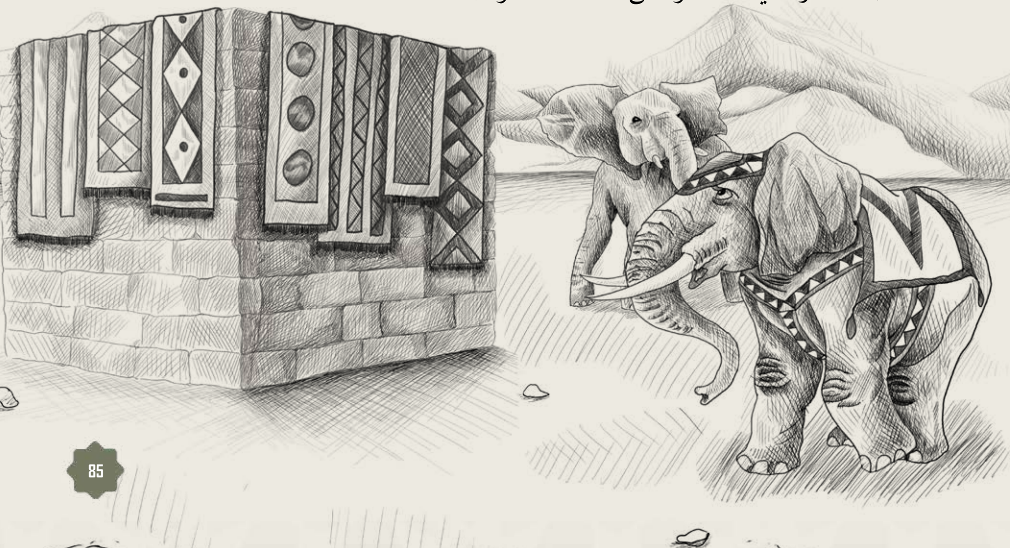
كما شمل تطوير المشاعر كلها توسعة المسعى ومشروع جسر الجمرات وساعة مكة، ومشروع سقيا زمزم وقطار المشاعر المقدسة، ومشروع خيام مِنَى المتطورة إلى غيرها من الخدمات والمرافق.

حوادث الكعبة

للمسجد الحرام عبر تاريخ البشرية قداسة وتعظيم منذ آدم عليه السلام، وحتى يومنا هذا، قدسه العرب قبل الإسلام وبعده كانوا له أكثر تقديسا، وعبر التاريخ شهد المسجد الحرام أحداثًا عظيمة هُدمت في بعضها الكعبة، وسَلمت في بعضها، وإليكم أشهر الحوادث المتعلقة بالكعبة والبيت الحرام قبل الإسلام وبعده حتى العصر الحديث.

محاولة أبرهة الحبشي

هذه الحادثة التي تناقلتها كتب السير وحدثت عام ٥٧٠م و قبل ميلاد النبي ﷺ بأشهُر، حيث بنى أبرهة ملك الحبشة كعبة أو كنيسة، حتى يقصدها الناس للحج، وأيضًا ليزيد من التجارة في بلاده، ولكن أحدًا لم يأتِ إلى كعبته، فعزم على هدم الكعبة المشرفة في مكة ولكن الله أهلكه وجيشه.



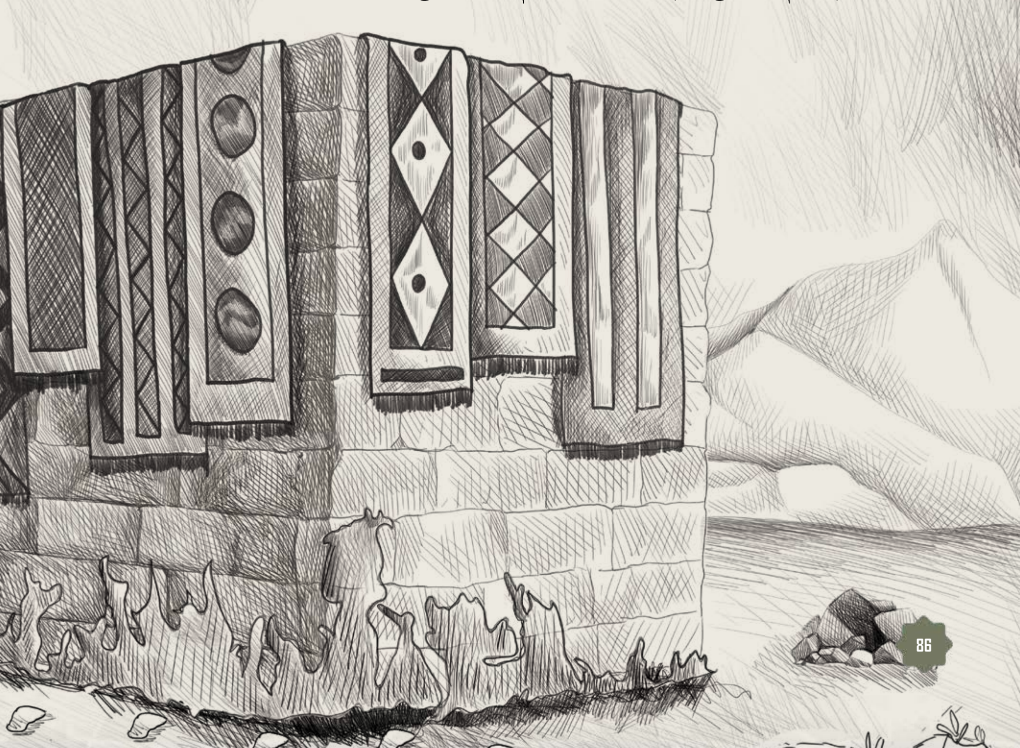
هدم الكعبة في عهد عبد الملك بن مروان

لما تولى عبدالملك بن مروان الأموي خلافة المسلمين، أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي لمحاربة عبد الله بن الزبير في مكة، فدارت معركة كبيرة في مكة، وقذف الحجاج الكعبة بالحجارة الكبيرة فتهدمت أجزاء منها.

فلما انتهت المعركة بهزيمة عبد الله بن الزبير أعاد الحجاج بناء الكعبة مرة أخرى.

القرامطة وسرقة الحجر الأسود

في عام ٣١٧هـ قام أبو طاهر القرمطي، ملك البحرين وزعيم القرامطة، وهم جماعة من الشيعة، بغارة على مكة والناس مُحرِمون للحج، حيث كان هذا اليوم هو يوم التروية أي يوم ٨ من ذي الحجة، وهدم جزءًا من الكعبة، وسرق الحجر الأسود،



وقتل عددًا كبيرًا من الحجاج، ووضع الحجر الأسود في بيت كبير، وأمر القرامطة سكان منطقة القطيف، بشرق السعودية الآن بالحج إلى ذلك المكان، ولكن الأهالي رفضوا تلك الأوامر، وظل الحجر الأسود لدى القرامطة لمدة ٢٣ عامًا حتى رده إلى الكعبة واحد منهم.



العتيبي واقتحام الحرم المكي عام ١٩٧٩م



مع بداية هذا القرن الهجري الجديد يوم ١ من محرم عام ١٤٠٠هـ، اقتحم أكثر من ٢٠٠ مسلح الحرم المكي مدعين ظهور المهدي المنتظر بقيادة جُهَيْمَان العتيبي، وفشل حراس الحرم في التعامل معهم فاستدعوا مزيدًا من قوات المشاة والحرس الوطني، وفي النهاية تم القبض على عدد منهم، وقتل الباقي، وحكمت المحكمة بإعدام ٦١ منهم.

الحجاج الإيرانيون عام ١٩٨٧م

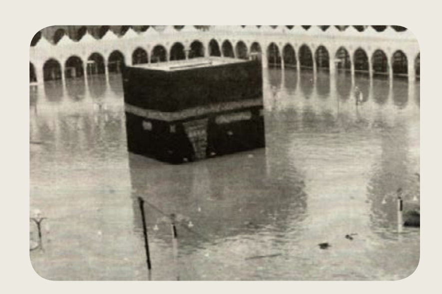
واجهت قوات الأمن السعودية تظاهرة محظورة قام بها الحجاج الإيرانيون، وأسفرت المواجهات عن ٤٠٢ قتيل بينهم ٢٧٥ إيرانيًا. وبعدها انقطعت العلاقات الدبلوماسية الإيرانية السعودية في ٢٤ إبريل ١٩٨٧، وتغيب الإيرانيون عن موسم الحج حتى عام ١٩٩١م، عندما قاموا بأداء فريضة الحج من دون حوادث تذكر.

السيول والمسجد الحرام

ذكر المؤرخون أن ما يقرب من ٧٠ سيلًا تعرض له المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وكان أشهرهم عام ١٦٣٠م وتسبب في موت الكثيرين، وإحداث الكثير من الهدم بجدار الكعبة، لكن بعد أن انتهى هذا السيل أمر السلطان العثماني مراد الرابع بإعادة ترميم المسجد الحرام والكعبة وفرشه من جديد.

وثانيها في عهد محمد علي باشا حاكم مصر حدث سيل عظيم تسبب في هدم أجزاء من الكعبة عام ١٢٣٩هـ، وقام محمد علي باشا بإرسال المهندسين المصرين لترميمها.

وكان آخر السيول العنيفة التي ضربت الحرم المكي عام ١٩٤١م حيث لم يكن الحرم مجهز مثل اليوم، وطاف حينها الحجاج حول الكعبة عائمين.









سقوط الرافعة عام ٢٠١٥م

وكان آخر الحوادث المروعة التي شهدها المسجد الحرام، هو سقوط أحد الرافعات المستخدمة في ترميمات المسجد الحرام، والتي أدت إلى مقتل ما يقرب من ٨٧ شخصًا، وأوضح المتحدث باسم شؤون الحرمين، أنه بسبب سوء الأحوال الجوية والرياح القوية والأمطار الغزيرة سقط جزء من الرافعة على المسعى بالمسجد الحرام والطواف.

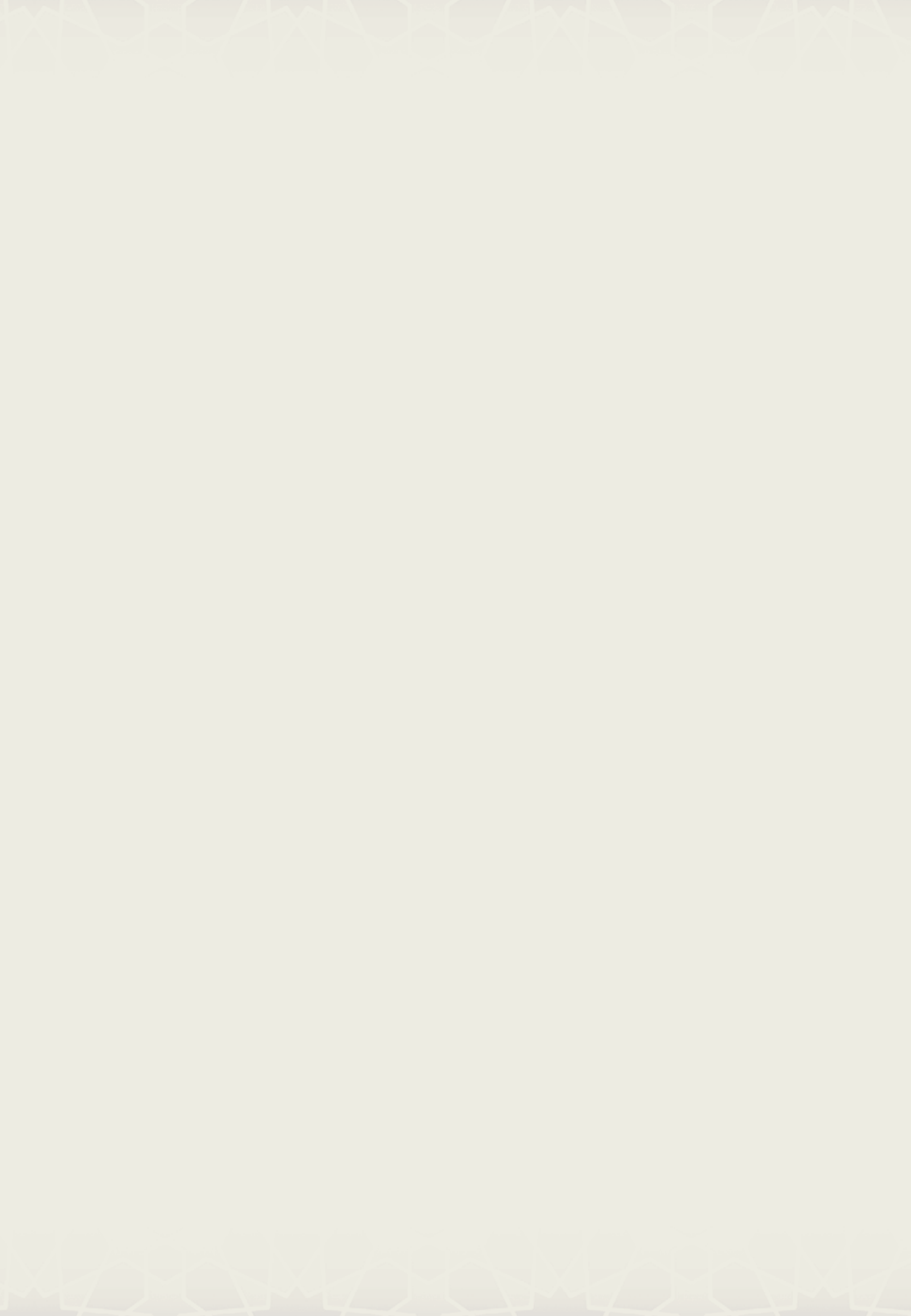






خط زمني للكعبة

عام ٥٧٠م	محاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة.
عام ٦٣٠م	قام الرسول ﷺ بفتح مكة.
عام ٦٣٩م	أول توسعة للمسجد الحرام على يد عمر بن الخطاب.
عام ٦٨٥م	تم هدم الكعبة وإعادة بنائها على يد عبد الله بن الزبير.
عام ١٦٣٠م	السلطان مراد الرابع العثماني يعيد بناء الكعبة وترميمها.
عام ١٩٤١م	سيل عظيم يجتاح الكعبة وطاف الناس سباحة.
عام ١٩٧٩م	محاولة جهيمان العتيبي الفاشلة للسيطرة على المسجد الحرام.
عام ١٩٨٧	حادثة اعتداءات الحجاج الإيرانيين على الكعبة فى موسم الحج.
عام ١٩٨٨م	توسعة الملك فهد للمسجد الحرام وهي أكبر توسعة له.
عام ٢٠١٥م	حادثة سقوط رافعة خاصة بالإنشاءات على المصلين في الحرم المكي.





- أول بيت وضعه الله سبحانه وتعالى للناس في الأرض.
- قبلة المسلمين في كل بقاع العالم .
- المكان الذي تهفو إليه النفوس وتهوي إليه الأفئدة.
- هنالك ترتفع التلبية : لبيك اللهم لبيك.
- **الكعبة هي كل ما سبق.**





almotahidaeducation.com